حرب جديدة على الإسلام..!

قامت جامعة ساندرن كونيكتيكت الأمريكية بالتحقيق مع أستاذ جامعى مصرى المولد اسمه شوقى كراس فلتاؤوس بتهمة ترويج كتيبات مضللة حول الإسلام بين الطلبة، والدكتور فلتاؤوس خارج على الكنيسة المصرية ومعارض لها ويرأس منظمة تمولها جهات عديدة مجهولة اسمها «الاتحاد القبطى المصرى». ونشاط هذا الأستاذ موجه للهجوم على مصر وعلى الإسلام. ويجد دعما وترحيبا من هيئات صهيونية فى أمريكا وأوربا.

وفى عام ٢٠٠٢ نظمت الأمم المتحدة مؤتمرا فى جنيف لبحث موضوع «الإسلام وحقوق الانسان» شارك فيه حشد من المفكرين والباحثين، وكما هو واضح من العنوان فإن هذا المؤتمر لم يكن سوى حلقة من سلسلة طويلة من الحلقات لتأكيد الادعاءات بأن الإسلام دين تتعارض مبادئه وتعاليمه مع قيم التقدم والديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان.. وقد عقدت مئات الندوات والمؤتمرات وحلقات البحث فى السنوات الأخيرة فى مختلف أنحاء العالم، ودعى إليها مفكرون وأساتذة جامعات ورجال سياسة من أوربا وآسيا وأمريكا لكى يبحثوا أمر هذا الدين الذى يرون أنه لا يحترم حرية الإنسان، وكرامته، ويدعو إلى الإرهاب ويبيح لأنصاره الاعتداء على المخالفين لهم فى العقيدة والرأى!.. إلخ.

وقائمة الاتهامات التى توجه إلى الإسلام طويلة، وتكاد تكون محفوظة يتكرر تقديمها فى كل مناسبة مع إضافة بنود وأدلة جديدة يجتهد الباحثون فى مراكز البحوث فى أوربا وأمريكا فى إعدادها بمهارة معززة بأدلة منطقية وتاريخية يخلطون فيها الحقائق بالأكاذيب، والمبادئ بالممارسات، ويسندون إلى الإسلام ذاته أفعال المنحرفين والشاذين والخارجين على مبادئه وتعاليمه وأخلاقياته. ويقدمونهم فى الإعلام الغربى على أنهم المثلون الحقيقيون للإسلام والمسلمين.

وفى قائمة الاتهامات على سبيل المثال: أن الإسلام يقر المحاكمات غير العادلة على النحو الذى حدث فى الماضى أو يحدث فى الحاضر فى بعض بلاد المسلمين...

وأن الإسلام دين يقوم على ممارسة العنف بكل أشكاله، ويدعو أبناءه إلى الاعتداء على الآخرين. وأن مفهوم الجهاد فى الإسلام يقوم على مشروعية قتال وقتل كل من لا يعتنق الإسلام، وللمسلم الذى يمارس هذا النوع من الجهاد ضد «الكفار» أجر وثواب عند الله. بل إن هذا القتل والقتال واجب على كل مسلم ومسلمة، ومن لا يقتل ويقاتل «غير المسلمين» فإنه ليس مسلما، ويكون هو ذاته كافرا. وكذلك يقولون: إن العنف فى الإسلام يمتد إلى استخدام عقوبات فيها قسوة لا تتفق مع الرحمة والإنسانية مثل قطع الأيدى، والرجم، وغير ذلك. ومثل مبدأ «العين بالعين والسن بالسن» و «لكم فى القصاص حياة». ولعل كلمات الرئيس الأمريكى بيل كلينتون التى قالها فى خطابه أمام المؤتمر الوطنى الفلسطينى، ووصف بأنه خطاب تاريخى، مازالت تتردد فى آذان الملايين الذين تابعوه وهو يتحدث بسخرية عن مبدأ «العين بالعين والسن بالسن» ويقول: إن تطبيق هذا المبدأ سيجعل الجميع عميان..!

فى قائمة الاتهامات أيضا أن الإسلام ضد المرأة، وأن مبادئه قائمة على إهانة المرأة ومعاملتها معاملة غير إنسانية، وأنه يعتبر الرجل هو الإنسان، أما المرأة فيعتبرها إنسانا ناقصا وتحتاج إلى الوصاية على تصرفاتها طَوَال حياتها.. ولا تلقى معاملة فيها احترام، وفى بعض البلاد الإسلامية المرأة محرومة من التعليم أو العمل أو المشاركة فى الحياة العامة، ولا يسمح للمرأة فى كثير من البلاد الإسلامية بالخروج للعمل لتحسين وضعها الاقتصادى، فتعيش على المعونات والصدقات ولا تجد الفرصة لتكون قوة منتجة، وفى بعض البلاد غير مسموح للمرأة بقيادة سيارة، وأمام المحاكم المرأة نصف الرجل حين تدلى بشهادتها، ولها نصف الميراث الذى يحصل عليه شقيقها الذكر، وفى العالم الإسلامى لا تجد الأقليات غير المسلمة معاملة فيها قبول أو تسامح!.. الخ.

اتهامات كثيرة حين كانت تتردد فى الماضى، كان التصور السائد أن الغرب معذور لأنه لم يفهم الإسلام على حقيقته، ولم يتعايش مع الحياة الإسلامية

الحقيقية، ولكنه أخذ النماذج الشاذة غير المعبرة عن الإسلام، ودرس حالات الخارجين على الإسلام وأصحاب الأفكار الغريبة فى التاريخ الإسلامى ولها نماذج شاذة فى الكتب التى تردد الأفكار الغريبة التى دسها المنافقون وأعداء الإسلام الذين ظلوا يحاربون الإسلام من الداخل ويحاولون تشويهه والتشكيك فيه على مدى أربعة عشر قرنا ..

كان هذا مفهوما، والعذر مقبول فى الماضى، ولكن هذا العذر لم يعد مقبولا الآن وقد أصبح الغرب مدركا للفارق بين مبادئ الإسلام كما جاءت فى الكتاب الذى أنزله الله والسنة الصحيحة التى جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين التفسيرات والتأويلات والأفكار التى جاءت من البشر بحسن نية أو بسوء قصد.. وبما فى عقول البشر من قصور أحيانا أو مغالاة وتشدد فى حالات أخرى ..

وفى الغرب علماء يعرفون حقيقة الإسلام كما جاءت من عند الله.. ولكنهم يكتمون الحق، ويضعون علمهم فى خدمة أهداف غير بريئة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ليكون ذلك مبررا لإثارة الكراهية لهذا الدين.. بادعاء أنه يتنافى مع مبادئ الإنسانية، ويدعو إلى القسوة والوحشية والاستعباد وإباحة الدماء لمجرد الاختلاف فى العقيدة الدينية أو فى الرأى والتفسير..

وفى إحدى الندوات التى عقدت عن الإسلام وحقوق الإنسان بمناسبة مرور خمسين عاما على صدور الإعلان العالمى لحقوق الإنسان قدم المفكر المعروف الدكتور أحمد كمال أبو المجد بحثا مستفيضا كشف فيه أن أكثر الباحثين فى حقوق الإنسان من غير المسلمين لا يتوقفون أمام حقيقة مهمة يواجهها المسلمون، هى أن الغرب يطلب من المسلمين أن يغيروا حضارتهم، وثقافتهم، وحياتهم اليومية لكى تتفق مع أفكار ومبادئ أخلاقية وقانونية نشأت وتنمو داخل حضارة أخرى ولا تنطلق من نصوص دينية مقدسة، ولا يعترف الباحثون الغربيون بشرعية وقدسية النصوص الدينية الإسلامية التى تتصل بالقضايا الاجتماعية والقانونية، وهذا ما يفسر الاستخفاف الذى يتعامل به بعض المفكرين غير المسلمين مع مبادئ الإسلام، فيوجهون إلى المسلمين دعوة صريحة وسافرة إلى إصلاح ثقافتهم، وشريعتهم جذريا، والهدف الحقيقى أن يقتلعها عن أصولها الفكرية والأخلاقية الكبرى، وينسى هؤلاء أن مثل هذا العمل حتى لو قام به

باحثون مسلمون فسوف يظل قليل القيمة والتأثير على جموع المسلمين وعلمائهم، لأنه لا يقوم على «الشرعية الثقافية الإسلامية».. ومن أمثلة ذلك ما يدعو إليه محمود طه فى السودان وبسام طيبى والنعيمى من إبعاد الشريعة الإسلامية عن التدخل فى ميدان حقوق الإنسان، أو إسقاط الالتزام بالنصوص حين يتصل الأمر بحقوق الإنسان..! وكان رد الدكتور أبو المجد على هذا الاتجاه بأنه سيؤدى إلى «العصيان» ورفض المسلمين لمحاولة غرس مبادئ ليست نابعة من داخل التصور الإسلامى للحياة، كما سيؤدى إلى تشدد «المقاومة الثقافية» المعلنة لمحاولات فرض ثقافة من جانب الآخرين خاصة حين تكون هذه المحاولات خالية من الكياسة واحترام الآخرين..

إننا نشهد ظاهرة حديثة، هى تسييس الجهود الدولية لحماية حقوق الإنسان، نتيجة انفراد قوة سياسية واحدة بقيادة العالم داخل المنظمات الدولية وخارجها، مما عجل بانهيار الحدود بين ما هو «محلى» وما هو «دولى» وإن كان ذلك فى الظاهر خير وتقدم، إلا أن هذه الصبغة السياسية هى التى تجعل التدخل الدولى باسم حقوق الإنسان مشبوها، وغير مشروع لفرض رؤية ثقافية خاصة، أو لخدمة مصالح سياسية واقتصادية لدولة معينة على حساب غيرها وكثيرا ما تتخذ حماية حقوق الإنسان ذريعة للتدخل سعيا لتحقيق أهداف لا صلة لها بتلك الحقوق، خصوصا حين يجعل من رؤية إحدى الثقافات معيارا يزن به ما يجرى داخل مجتمعات تخالف ما يسود فى الدول التى تريد أن تفرض ثقافتها ومنظوماتها الأخلاقية والقانونية.

والمفارقات بين القول والفعل تثير قلق الغرب حين يتحدث عن ظواهر فى المجتمعات الإسلامية، ولا تثير قلقه بالنسبة للمجتمعات الغربية، على الرغم من أنها موجودة فى الغرب أيضا.. ولا يريد الغرب أن يدرك أن حالة الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان فى بعض المجتمعات الإسلامية ليست نتيجة عوامل تتصل بالإسلام ولا دخل للإسلام بها، ولكنها نتيجة عوامل سياسية واقتصادية وبيئية وتاريخية فى كل مجتمع..

ولكن رجال الفكر والسياسة فى الغرب يفضلون إلصاق كل تهمة بالإسلام ذاته..!

ومن يرد أن يتحدث عن موقف الإسلام من حقوق الإنسان فعليه أولا أن يفرق بين أمرين: بين ما هو إلهى جاء به الوحى بالقرآن والسنة، وبين فكر واجتهاد إنسانى فى الفقه والتفسير. فالوحى من عند الله والفقه من عقول البشر.

وأيضا لابد من التفرقة بين «الإسلام» وما يحدث فى «بلاد المسلمين».

فالذين يقولون: إن الإسلام لا يحترم حرية الإنسان، ولا يضع ضمانات لحماية الفرد وحقوقه، وإنه يجعل الفرد مجرد تابع للجماعة أو للدولة، هؤلاء يروجون أفكارا ليست فى الإسلام. فالإنسان الفرد مخلوق له كرامة وتكريم بصرف النظر عن لونه، أو جنسه، أو ديانته، أو سلطته، وإنما التكريم لأنه إنسان. وهذا المبدأ مقرر فى الإسلام بنص مباشر فى الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء - ٧٠] التكريم ليس للمسلمين، وليس للعرب، وليس لأمة دون أمة، والإنسان فى الإسلام مخلوق مسئول، عليه واجبات وله حقوق، وهو ملزم باحترام الأفراد الآخرين بصرف النظر عن دياناتهم أو لونهم أو جنسهم. ملزم بحماية أموالهم، وأعراضهم، وحقهم فى الخصوصية..

والخطأ فى فهم موقف الإسلام من حقوق الإنسان الذى يقع فيه الباحثون الغربيون ذوو النوايا الحسنة، سببه أنهم لا يدركون الفرق بين الشريعة والفقه.. الشريعة الإسلامية ليست هى الفقه الإسلامى.. الفقه عمل العلماء المتخصصين فى تفسير نصوص القرآن والسنة واستخلاص الأحكام العامة من الأدلة الجزئية.. ولذلك فإن الفقه عمل إنسانى..

والفقه يحتمل الاختلاف.. وهذا الاختلاف ليس خروجا على الإسلام ولكنه اجتهاد.. ولكل مسلم أن يأخذ من الفقه أو يترك.. دون أن يكون كافرا ولا آثما.. وله أن يأخذ من كل فقيه ما يرتاح إليه ضميره ولا يعتبر ذلك خطأ.. والفقه ليس ثابتا ولا جامدا.. ولكنه يتغير بتغير المكان كما فعل الشافعى حين انتقل من العراق إلى مصر. ويتطور مع الزمن بتطور العقول والعلوم والمجتمعات، وللعقل والمنطق دور كبير فى ذلك. والبناء الفقهى الذى تركه لنا علماء القرون السبعة الأولى لا يزال مرجعا.. وكثير مما فيه لا يزال صالحا ونافعا.. ولكن اجتهاد علماء تلك القرون ليس نهاية المطاف فى تطور الفقه، بل إن التجديد فى الفقه

مطلوب، والحاجة إليه قائمة، مع ما فى التجديد من مهمة شاقة، لأنه يحتاج إلى مناهج ومهارات ذهنية، أكبر مما كان لدى الفقهاء الأوائل، فقد عاش هؤلاء الأوائل فى زمن قريب من الدعوة، ولقد ابتعد بنا الزمن. . وهم وضعوا اجتهاداتهم فى وقت لم تكن المسافة الزمنية بين النصوص وبين الواقع الاجتماعى قد اتسعت كما هو الحال أمام علماء عصرنا الآن.

والتجديد فى الفقه الإسلامى له مداخل أولها: ربط الفتوى بمقاصد الشريعة، فالنصوص الشرعية علامات، ولابد من قياس الفتوى على ما يقصده الشرع، وثانيها: الاعتماد على «المصلحة» دليلا شرعيا ومصدرا مكملا من مصادر التشريع، وثالثها: وضع «الأولويات» فى الاعتبار عند الفتوى، فالمصالح درجات، وللأوقات والأزمات والأحوال الاعتبار الواجب فى ترتيب هذه الأولويات، والفتوى بدون مراعاة ظروف وأحوال ومصالح الناس ابتعاد بالفقه عن الواقع وعن حياة ومشاكل الناس الذين جاءت الشريعة من أجلهم. ورابع هذه المداخل: اعتماد «التيسير» منهجا فى الفتوى والاجتهاد، وكما قيل بحق، ليس العلم فى التشديد فإنه يحسنه كل أحد، وإنما العلم الرخصة والتيسير من عالم ثقة. . وليتذكر المتشددون والمعسرون أن مهمة الشريعة ليست المنع والحظر والتحريم، وإنما هى المنح، والإباحة، وحل كل شىء، وكل تصرف، وصحة كل معاملة، إلا حين يرد الدليل الفقهى على المنع والحظر والتحريم. .

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام - ١١٩] وخامس المبادئ أو المداخل فى الفقه الإسلامى البحث عن كل ما يفيد من فكر وتجارب الآخرين مسلمين وغير مسلمين. . قدماء ومحدثين. . فى بلاد الإسلام وغيرها من بلاد العالم. . والمبدأ أن «الحكمة ضالة المؤمن». . وليس شرطا لقبول نظام أو فكر أن يكون قد جرى العمل به فى صدر الإسلام. . المبدأ «حيث تكون المصلحة فثم شرع الله». . والعبرة فى التشريع بالمقاصد وليست بالألفاظ.

هذه هى مبادئ الفقه الإسلامى كما عددها الدكتور أبو المجد، عقول منفتحة وليست مغلقة. . وإرادة التطور هى المحرك. ، ومعايشة الجديد فى العلوم والنظم الاجتماعية. . وعدم الانفصال عن الواقع. . فليس الدين شيئا معزولا عن حياة الناس ولكنه أساسها وجوهرها. .

هل الإسلام ضد مبدأ المساواة..؟

شيء غريب أن يتردد فى كتابات الغربيين أن الإسلام ضد مبدأ المساواة بين البشر، وربما يكون ذلك تحت تأثير دراساتهم للفكر اليهودى الذى يفرق بين «اليهود» ويعتبرهم مخلوقات تستحق التكريم والسيادة، وبين «الأغيار» أى غير اليهود ويعتبرهم مخلوقات خلقها الله لتكون أدوات ووسائل لليهود. السيادة لليهود. . والمهانة لغيرهم. . أما الإسلام فإنه قائم على المساواة بين البشر جميعا لأنهم من أصل واحد:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ . [النساء –١]واختلاف البشر نعمة ليكون سببا لتبادل المصلحة والمعرفة والتجربة وليس سببا للصراع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ . [الحجرات – ١٣]

وقد حرص الرسول ﷺ قبل أن يترك الدنيا على أن يغرس هذا المعنى الجليل فى عقول وقلوب المؤمنين من بعده فقال: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى فضل إلا بالتقوى» .

هكذا جاءت العقيدة الإسلامية بمبدأ المساواة بين البشر فى كل شيء. . المساواة السياسية والاجتماعية. . والمساواة فى الكرامة. . والمساواة فى الحقوق والواجبات. . والناس سواسية كأسنان المشط. . لا تفرقة. . جاء هذا فى وقت لم تكن فيه الإنسانية تعرف المساواة، وكانت تعيش فى عصر العبودية والإقطاع واستبداد القوى بالضعيف. .

المساواة أصل فى العقيدة والأخلاق، وفى النظام الاجتماعى والتشريعى. . فلماذا المغالطة والتشويه للإساءة إلى الدين الإسلامى، وإلى الحضارة الإسلامية، وإلى الثقافة الإسلامية، وإلى كل المسلمين. . ؟

وحتى لو كان الهدف فى الغرب هو التمهيد واختلاق أسباب للعدوان على الشعوب الإسلامية، فلماذا لا يسفر هذا العدوان عن وجهه الحقيقى ودوافعه

الحقيقية، وهى دوافع وأهداف سياسية.. وأطماع اقتصادية.. لماذا يتجه العدوان والتشويه إلى الدين الإسلامى ذاته، ولا يكتفى بالهجوم على المسلمين ؟

هل لأن جماعات من المسلمين انحرفت عن الفهم الصحيح للإسلام وترتكب جرائم باسمه. .؟

وهل هناك دين يدعو إلى الانحراف والجريمة. .؟

أو لأن هناك مجتمعات إسلامية تهدر حقوق الإنسان. .؟

وهل ذلك مرتبط بتخلف هذه المجتمعات اجتماعيا وحضاريا وثقافيا أو مرتبط بتمسكها بالإسلام. ؟

وهل هذا الادعاء صحيح أو هو غطاء ووسيلة لإسكات المطالبين بالإصلاح. .؟

وهل سلوك المسلمين جميعا. . أو سلوك المسيحيين أو اليهود جميعا ترجمة دقيقة وكاملة لشرائعهم. .؟

أليس من العقل أن يفرق الغرب بين الإسلام كدين وبين المسلمين كبشر. . وبين الحق والباطل فى دعاوى من ينتسبون للإسلام بدلا من التعميم وإلصاق التهمة بالجميع. .؟

ومادام الغرب قد اختار ميدان العقيدة لإعلان الحرب على الإسلام والمسلمين. . فلابد أن يحتشد المفكرون المعتدلون الكبار لمواجهة هذا العدوان الجديد الذى يهدد مستقبل الإسلام والمسلمين. .

هل سيبقى الإسلام والمسلمون فى قفص الاتهام ؟!

فى رسالة مختصرة قال لى الدكتور وجيه شندى وزير السياحة الأسبق، ورئيس الجمعية المصرية لخريجى الجامعات الأمريكية: إنه كان فى الولايات المتحدة أثناءالاعتداء على مبنى التجارة العالمى والبنتاجون فى الحادى عشر من سبتمبر، ولمس بنفسه كيف استطاعت بعض أجهزة الإعلام ذات الاتجاهات السياسية المغرضة إلصاق صفة الإرهاب بالعرب والمسلمين.

وقال إنه رأى اللوبى اليهودى فى أمريكا وقد استغل هذا الحادث ليقدم للرأى العام الأمريكى صورة مضللة عن حجم المعاناة التى يعيش فيها الإسرائيليون منذ أكثر من خمسين عاما محاصرين وسط «الأعداء» المحيطين بهم من كل جانب، وكيف يتحملون المتاعب والتضحيات وهم يتعاملون مع النشاط الإرهابى المحيط بهم من خطف الطائرات، وتفجير المبانى، إلى قتل المدنيين... ولبراعة الإعلام الأمريكى ومقدرته على قلب الحقائق، وإقناع الناس العاديين بالأكاذيب، استطاع اللوبى اليهودى أن يؤثر فى الرأى العام. والمعروف أن معظم الشعب الأمريكى لايعرف كثيرا أو قليلا عن الإسلام أو العرب ولا يتابع أو يهتم بمعرفة الحقيقة فى الصراع العربى الإسرائيلى. . وهو شعب لا يهتم بما يجرى خارج بلاده. . ولايتعب نفسه فى البحث عن الحقيقة ويكتفى بما يقال له فى التليفزيون ويصدقه على أنه الحقيقة. . وهو عموما شعب مشغول بحياته اليومية وأموره الخاصة وليس مشغولا بالسياسة الخارجية. . فيما عدا قلة محدودة من المشتغلين بالسياسة والدراسات الاستراتيجية. . وهذا ما أعطى الفرصة لخبراء الإعلام المعادين للعرب والإسلام والمسلمين لينصبوا أنفسهم خبراء وعالمين ببواطن الأمور فى العالمين العربى والإسلامى، وخبراء فى التعامل مع الإرهاب «الإسلامى». !

وقال الدكتور وجيه شندى أيضا: إن بعض العرب الذين دعوا للحديث فى وسائل الإعلام الأمريكية عن موقف الدول العربية، وعن موقف الإسلام والمسلمين من أحداث سبتمبر لم تسعفهم اللغة الإنجليزية فى التعبير بدقة عن وجهات نظرهم، فضلا عن قلة دراية بعضهم بالأساليب الفنية للحديث فى وسائل الإعلام، وبالتالى لم يستطيعوا إقناع المشاهدين والمستمعين وبعضهم حقق نتائج عكسية .

وقد نوقش هذا الموضوع فى مجلس إدارة الجمعية المصرية لخريجى الجامعات الأمريكية المصرية، واتفق الجميع على عقد ندوات متخصصة يتحدث فيها نخبة من كبار المفكرين والأساتذة . الأولى بعنوان «نحو فهم جديد للإسلام» والثانية عن «الإسلام والعالم العولمى» والثالثة عن «الإسلام والآخر» والرابعة عن «مفهوم الجهاد والحرب العادلة فى الإسلام»، والمتحدثون فى هذه الندوات من المصريين والعرب، ولكنها ستكون باللغة الإنجليزية حتى يمكن للمدعوين إليها من ممثلى السفارات الغربية والصحافة وشبكات التليفزيون العالمية نقل جانب مما سيدور فيها .

وقد توقفت طويلا أمام ماقاله الدكتور وجيه شندى لأنه شخصية معروفة بالاعتدال والتوازن فى أقواله وأحكامه، ولا يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من الانزعاج مما رآه وسمعه فى الولايات المتحدة إلا إذا كان قد أدرك بيقين أن الأمر قد وصل إلى درجة الخطر، ووجد نفسه - مع زملائه - مضطرين للتحرك على قدر إمكانهم وفى حدود قدراتهم، مادامت الدول العربية، والجامعة العربية، والمؤسسات العربية ذات الطنين الشديد والصخب الفارغ، لم تتحرك فى الوقت المناسب .

والجمعية المصرية لخريجى الجامعات الأمريكية تضم مجموعة من صفوة المصريين الحاصلين على الدكتوراه من الجامعات الأمريكية المعترف بها، ومضى على حصولهم على الدكتوراه عامان على الأقل، أى إنهم من النخبة المتعلمة المثقفة. عاشوا فى الولايات المتحدة ولديهم تجارب وخبرات تجعلهم قادرين على فهم المجتمع الأمريكى، والشعب الأمريكى، والعقلية الأمريكية، وفهم

ما يجرى هنـاك تحـت السـطح، بعيـدا عـن التصريحـات الورديـة التـى يطلقـها الرسميون عادة للاستهلاك المحلى، أو الاستهلاك الخارجى .

وقبل ذلك بأيام كانت الإذاعة البريطانية (بى. بى. سى) قد أذاعت تقريرا مـن نيويـورك بعنـوان «جاليـة تحـت الحصـار» قـال فيـه مراسـلها ريـان ديلـى: إن المسلمين فى أمريكا قد أصبحوا هدفا للغضب نتيجة هجمات سـبتمبر، والاعتقـاد بأن أسامة بن لادن هو المتهم الأول فى هذه الهجمات التى هزت أمريكا، حتى إن عربيا صاحب مقهى اسمه «مقهى كابول» كان يرتجف، وقد علق العلم الأمريكـى بحجم كبير جدا على واجهة المقهى، بعد أن تزايدت موجات الاعتـداء بالسباب والضرب على المسلمين الأمريكيـين خاصـة مـن ينتمـى منـهم إلى أصـول عربيـة، وأصبحت حوادث الاعتداء عليهم فقرة لا تخلو منـها نشرات الأخبـار. وإن كـان صاحب المقهى قـد قـال: إن مـا يطمئنـه تعـهد عمـدة نيويـورك الـذى أعلنـه فـى التلفزيون بعدم التهاون مع أية جريمة ضد المسلمين، ووجود الشرطة الدائم أمـام المقهى .

ويقول التقرير أيضا: إن أحد العاملين فـى مسجد فـى نيويـورك قـال لمنـدوب الـ(بى. بى. سى) إن جرس التليفون يـدق فـى منزلـه ويقـول لـه أشخاص علـى الطرف الآخر: إنكم خونة. . اخرجوا من هذا البلد . بالإضافة إلى إساءات لفظية كثيرة يتعرض لها المسلمون، وإن كانت الإهانات والشتائم توجه إليهم قبـل هـذه الأحداث، إلا أنها زادت بعدها .

ويقول تقرير الـ (بى. بى. سى): إن الخوف من الانتقام دعا كثيرا من المسلمين والعرب إلى تقييد حريتهم والإقلال مـن تحركـهم وتفضيـل البقـاء فـى البيـوت، حتـى إن عـدد الذيـن يحضـرون صلاة الجمعـة انخفـض إلى النصـف. وقـال أحـد المسلمين واسمه محمد منير: إنه هووزوجته وابنه البالغ من العمر سـبعة أعـوام ليست لديهم الجرأة على مغادرة المسكن فى بروكلين بنيويورك .

وفى التقرير أيضـا أن أمـام مدخـل المسجد توضـع أكـوام مـن صحيفـة «ميرور انترناشيونال» الأسبوعية، وفى الصفحة الأخيرة منها نصائح للمسلمين المقيمـين فى أمريكا منها: ألا يخرجـوا إلا فـى جماعـات تفاديـا لأى هجـوم، وأن يـهيئوا أنفسهم لأية مضايقات فى المطارات، وإذا تلقوا أيـة إسـاءات فعليـهم أن يتذكـروا

موقف الرسول عندما أهين فى الطائف، وكانت نصائح إمام المسجد للمصلين المسلمين الأمريكيين: لا تورطوا أنفسكم فى أية عملية شراء سلاح للدفاع عن أنفسكم، وإذا عرض عليكم شخص سلاحا فاعلموا أن تلك حيلة، يهدفون من ورائها إلى إيجاد ذريعة لسجنكم باعتباركم إرهابيين. ويوجه إمام المسجد نصائحه للنساء اللآتى يغطين شعورهن قائلا: إذا أرادت أخواتنا ألا يتعرض لهن أحد فعليهن الاكتفاء بربط شعورهن .

وقال إمام المسجد أيضا: إن تغطية التليفزيون الإخبارية التى تكررت تحت عنوان «الحرب الجديدة لأمريكا» تثير مشاعر العداء للمسلمين، وعندما يستثار الناس فإنهم يقتلون، ويفجرون القنابل، ويدمرون المبانى، ونحن لن ندع الآخرين يؤذون نساءنا وأطفالنا . ويقول إمام المسجد إن من بين ضحايا مركز التجارة العالمى مسلمين . ولكن لا يذكرهم أحد .

وهكذا يمضى تقرير (بى. بى. سى) يصور الرعب الذى يعيش فيه المسلمون الأمريكيون. . ويعبر عن هذا الخوف صاحب محل فى حى كوينز فى نيويورك، وآخر فى شارع ستانيواى الذى يعتبر حى الأمريكيين من أصول عربية، ويشير التقرير إلى محلات مغلقة وعلى بعضها لافتات: «سنعود لفتح المحل إن شاء الله» .

يتحدث التقرير باستفاضة عن المشاعر المعادية للمسلمين . وفى الوقت نفسه صدرت أقوال من شخصيات أمريكية مهمة تدعو للقلق. .

مارتن انديك سفير الولايات المتحدة السابق فى إسرائيل والمسئول بوزارة الخارجية قال فى كلمة له أمام معهد بروكينجز بواشنطن: إن النظم العربية فضلت توجيه المعارضة ضدنا. وصحيفة «واشنطن بوست» تقول: إن الحكومات العربية التى تدعى تأييد الحملة الأمريكية ضد الإرهاب، وتطالب الولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل، وبعدم توجيه ضربات للعراق، هى أكبر سبب للتطرف والإرهاب .

وعندما اشتدت حملة الكراهية والعداء بدأت الإدارة الأمريكية فى اتخاذ خطوات على المستوى الرسمى لإنقاذ الموقف، ولإظهار التعاطف مع الإسلام والمسلمين، بينما استمرت حملة العداء والكراهية إعلاميا وسياسيا. .

وفى شهر رمضان عام ٢٠٠٢ استضاف وزير الخارجية كولن باول ١٣٠ من قيادات الأمريكيين المسلمين والعرب وعددا من كبار المسئولين فى وزارة الخارجية وفيهم عدد من المسلمين، وأدى المسلمون صلاة المغرب فى قاعة خاصة، ثم تجمعوا على مائدة رمضانية. . وتعهد كولن باول بأن تتصدى الحكومة الأمريكية لأى تمييز ضد المسلمين، وقال إن الأحداث الأخيرة ربما تكون قد فتحت المجال أمام كثير من الأمريكيين لكى يتعلموا شيئا عن الإسلام والمسلمين، لأنه مازال هناك الكثير من الجهل والبلبلة حول الإسلام، وعلى مسلمى أمريكا أن يعملوا على توعية الأمريكيين من غير المسلمين بحقيقة الإسلام ومعتقداته وتقاليده .

وكان وزير الخارجية الأمريكى قد حرص على تنفيذ توصيات الخبراء بمنتهى الدقة. . فقد استهل الإفطار بإقامة الأذان من إمام جامع جورج تاون، ثم قرأ آيات من القرآن الكريم، وألقى الإمام كلمة شكر فيها الوزير على هذه الدعوة للوصول إلى الجاليتين العربية والإسلامية الأمريكية، وقام الوزير بتكريم ثلاثة من المسلمين الأمريكيين فى نيويورك ممن أسهموا إسهاما يستحق التقدير-كما قال - فى إنقاذ ضحايا الحادث الإرهابى على مبنى مركز التجارة العالمى-ووصف هؤلاء الثلاثة بأنهم «أبطال ١١ سبتمبر» وهم: عادل منتصر بدائرة شرطة نيويورك الذى قال عنه كولن باول إنه ساعد فى إنقاذ الأرواح من بين الأنقاض، كما ساعد على حفظ الأمن فى الموقع بعد الحادث مباشرة. وعادل منتصر شاب أمريكى مسلم من أصل يمنى فى العشرينات خدم فى سلاح البحرية الأمريكية، وعمل موظفا بخدمات المطافئ فى نيويورك، وكان ينقذ الأرواح ويساعد الجرحى فى أعقاب الحادث. والثانى الذى امتدحه الوزير الأمريكى هو إدريس بى موظف خدمات فى الطوارئ الطبية فى المطافئ فى نيويورك، وقال عنه كولن باول: إنه بذل جهدا خارقا لإنقاذ الأرواح، والثالث هو الشيخ إسحق الباشا إمام مسجد بنيويورك، وقال عنه كولن باول: إنه كان يعمل ليل نهار دون توقف لعدة أيام بعد الحادث يواسى أسر الضحايا وينظم الجنازات. .

وقال كولن باول: إن أمريكا أمة متعددة الأعراق، وهى بلد مكـون مـن عنـاصر من شعوب من كل أنحاء العالم، ومن كل معتقد ودين، وهذه التعددية مصدر قـوة وليست مصدر ضعف، وهى مصـدر نجـاح وليسـت مصـدر فشـل وإن أمريكـا بلـد يستمد قوته من كل بلاد العالم، كما يسهم فى كل بلاد العالم.

وقال وزير الخارجية أيضا فى هذه الليلة: «إن هذا قد يكون أول رمضان يمكن أن يكون فيه كثير من الأمريكيين غير المسلمين قد تعلموا فيه شـيئا عـن الأهميـة العظيمة لشهر رمضان».

والغريب أن كولن باول عاد وكرر فـى حديثـه القـول بأنـه مـازال فـى أمريكـا الكثير من الجهل والبلبلة حول الإسلام، وهذا يعطى لنا - نحن غير المسـلمين - فرصـة لأن نتعلـم مـن المسلمين شـيئا عـن الإسـلام، وفرصـة أيضـا للتواصـل مـع الأمريكيين غير المسلمين لتعريفهم بالإسـلام، لكـى يزيـد تقديـر أحدنـا للآخـر، ولتشجعوا الآخرين على أن يتحدثوا معكم عن معتقداتهم أيضًا.

وكان حديث كولن باول مؤثرا للغاية عندما اعترف بما يلاقيه المسلمون وقـال: إنه أثناء الطعام استمع إلى قصص معاناة المسلمين «لأننى أنا شخصيا أحد أبناء الأقليات، وقد عوملت أيضا فى حياتى علـى أسـاس الصـورة النمطيـة (للسـود).. ولـن أنسـى أبـدا خلفيتى، ولن أنسـى مـا فعلـه أولئـك الذيـن ضحـوا قبلـى لكـى أصـل اليـوم إلى منصبـى الحالى».

هكـذا جمـع وزيـر الخارجيـة الأمريكـى بـين الاعـتراف بمـا يلاقيـه العـرب والمسلمون الأمريكيون وما يلاقيـه السـود فـى المجتمـع الأمريكـى. . وقـال أيضـا «سأبقى ما حييت متفهما لقضاياكم بالنسبة للمعاملة والتمييز على أساس الصورة النمطية» (أى الاضطهاد لمجرد أن الشخص مسـلم أو عربـى علـى أسـاس الصـورة النمطية فى العقل الأمريكى بأن كل عربى وكل مسلم إرهابى).

وكان من بـين حضـور هـذه المناسـبة جيمـس زغبـى رئيـس المجلـس العربـى الأمريكى ونائب رئيـس اللجنـة الأمريكيـة لمكافحـة التمييـز، والدكتـور يحيـى

باشا رئيس المجلس الأمريكى الإسلامى، وعمر أحمد رئيس مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية.

وكان حفل الإفطار وحديث كولن باول محاولة لإلقاء حفنة من الرمال على النار المشتعلة كما قال المدعوون. . فهل انطفأت النار المشتعلة ضد العرب والمسلمين فى أمريكا أومازالت مشتعلة وذهب الحفل والكلام أدراج الرياح. .؟

وعندما جاء عيد الفطر دعا الرئيس الأمريكى جورج بوش عددا من الشخصيات المعروفة من العرب والمسلمين الأمريكيين إلى البيت الأبيض ليقدم لهم الكعك والتهنئة بالعيد.

وقبل ذلك زار الرئيس الأمريكى المركز الإسلامى وتحدث عن سماحة الإسلام. .

ولكن حملة العداء والكراهية للعرب والمسلمين ظلت مشتعلة إعلاميا وسياسيا وفى تصرفات العامة من الأمريكيين يغذيها اللوبى اليهودى كما سنرى فيما بعد.

وأصبح على الإسلام والمسلمين والعرب أن يقفوا موقف الدفاع فى مواجهة هذه الحملة القوية المنظمة التى تشوه صورة الإسلام فى العقل الغربى بمختلف الأساليب مستغلة الحرب الأمريكية على الإرهاب، ووجود جماعات وأفراد مسلمين متهمين بالإرهاب. ويصورون كل مسلم وكل عربى وكل رافض للاحتلال الإسرائيلى على أنه إرهابى، حتى إن شارون وجد فى نفسه الجرأة ليقول بأن عرفات (المناضل من أجل تحرير أرضه من الاحتلال) إرهابى مثل أسامة بن لادن !

ولا تتحدث أمريكا عن عشرات القرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة باعتبار الضفة الغربية كلها والقدس الشرقية أرضا محتلة، وعدم شرعية الإجراءات الإسرائيلية التوسعية فيهما، ولا تتحدث عن المقدسات الإسلامية التى تتعرض للاغتصاب والإهانة من الاحتلال الإسرائيلى وأولها الحرم القدسى الشريف. . ولا يتحدث أحد فى أمريكا عن قرارات الأمم المتحدة

باعتبار جميع معالم القدس الشريف وشواهدها ومبانيها التاريخية ضمن التراث الثقافى الإنسانى الذى لا يجوز المساس به، أو تغيير معالمه، أو تزييف حقيقته التاريخية.

ولا يتحدث أحد فى أمريكا.. كما لا يتحدث أحد فى أوربا عن القرار الغريب الذى اتخذته الأكاديمية السويدية بمنحها جائزة نوبل فى الآداب لعام ٢٠٠١ للكاتب البريطانى ذى الأصل الهندى أ. س. نايبول وهو كاتب أهم ما يميز كتاباته مهاجمة الإسلام والمسلمين والدعوة إلى الكراهية بين الشعوب، ويسعى بكتاباته إلى تأجيج الصراع بين الثقافات والحضارات مما يتعارض مع المواثيق والإعلانات والتعهدات الدولية، ويتعارض أيضا مع القيم الإنسانية والمبادئ التى تقوم عليها جميع الأديان.. وهذا ما قاله كتاب غربيون فى نقد قرار الأكاديمية السويدية وكأنها أرادت أن تعلن هى الأخرى موقفها المعادى للإسلام والمسلمين.

وتحت ضغط الشعور بخطورة حالة العداء للعرب وللإسلام والمسلمين تحركت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (إيسيسكو) وقررت عقد ندوة دولية متخصصة حول موضوع «صورة العالم الإسلامى فى الإعلام الغربى بين الإنصاف والإجحاف» فى الرباط يومى ٩ و ١٠ يناير ٢٠٠٢.

وقال المدير العام للمنظمة الإسلامية الدكتور عبد العزيز التويجرى: إننا نعيش فى عصر تزدهر فيه الحريات وحقوق الإنسان، وتتعالى فيه أصوات حكماء العالم ومحبى السلام بنداء لإقرار مبدأ ديمقراطية العلاقات الدولية، وإقرار مبادئ القانون الدولى، ومطالبة المجتمع الدولى بالحوار والتعايش بين الأمم والشعوب.. ولكن دوائر الإعلام الغربى ووسائله المختلفة وعلى جميع المستويات تعمل على ترويج صورة نمطية بالغة التشويه، قاتمة الملامح، عن العالم الإسلامى كله، وعن الإسلام والمسلمين جميعا، وعن كل ما يمت بصلة إلى المجتمعات الإسلامية فى كل مكان، سواء فى البلاد الإسلامية، أم فى بلاد الأقليات والجاليات الإسلامية.

وقال الدكتور التويجرى أيضا: إن العالم الإسلامى يتعرض فى المرحلة الراهنة إلى هجوم إعلامى كثيف موصول الحلقات، يهدف إلى الطعن والتزييف والتشويه فى الثوابت المتصلة بالعقيدة والحضارة الإسلامية، وبالأوضاع العامة فى البلاد الإسلامية، فى جوانبها السياسية، والأمنية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية. وهذه الحملات المغرضة على العالم الإسلامى فى معظم وسائل الإعلام الغربية هى بكل المقاييس خرق للقوانين الدولية، وتجاوز للتقاليد المهنية للإعلام الحر والصادق والموضوعى، مما يتعارض مع أخلاقيات الإعلام. وهذه الحملات الظالمة ضد الإسلام والمسلمين، التى تكاد تعم وسائل الإعلام الغربية أصبحت تمارس على مستوى عال من الانحياز والعدوان على حقوق الإنسان، وتعمل على تزييف المفاهيم الإسلامية، وتشوه حقائق هذا الدين العظيم، .وقداستغلت فى ذلك الأحداث الإجرامية فى ١١ سبتمبر. .

وقال تعبيرا عن انزعاج المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: قررت عقد هذه الندوة لبحث ظاهرة الكراهية والعداء ضد المسلمين بصورة عامة، وضد كل ما له أدنى صلة بالعالم الإسلامى، على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والإعلامية على نحو لم يسبق له مثيل، وقد أصبحت موجات العداء والكراهية هذه تهدد المصالح العليا للعالمين العربى والإسلامى، وتلحق الأضرار بالدول الإسلامية جميعا ودون استثناء.

وقال مدير المنظمة الإسلامية: إن موجات الكراهية والعداء فى الدوائر الغربية ضد العالم الإسلامى قوبلت أحيانا بنوع من الاعتراض من طرف شخصيات غربية مسئولة، ومن بعض المفكرين الغربيين الأحرار. إلا أن ذلك لم يؤثر على الظاهرة فى مجملها، ولا تزال صورة العالم الإسلامى فى الإعلام الغربى منحازة لا تعكس حقيقة الإسلام، ولا تبرز جوهر الحضارة الإسلامية، ولا تعبر بأمانة أخلاقية ونزاهة مهنية عن روح الإسلام الحقيقية. .

ما هى الأسباب الحقيقية والعميقة لحالة الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين والعرب. .؟

لابد من البحث عن الجذور والدوافع، ولابد من كشف القوى الخفية وراءها، وهذا يقتضى تجمع كل المؤسسات الإسلامية والثقافية والعلمية فى الدول العربية والإسلامية. .

ولابد أن نبحث بالتفصيل موقف الإعلام الغربى من العالم الإسلامى ومن الدين والحضارة الإسلامية.. ونحلل ما ينشر ويذاع فى الغرب لنرى ما فيه من انحياز فى تغطية الأحداث التى تتعلق بالعالم الإسلامى. . ولابد أن نفهم تأثير المواقف السياسية للدول الغربية فى صياغة الأخبار والتحليلات والمقالات والبرامج فى وسائل إعلام هذه الدول. . وأخيرا علينا أن نبحث: كيف نوجد مجالا إعلاميا حرا ومنصفا يقول الحق ويواجه صناعة العداء للإسلام؟

علينا أن نعمل الآن. . دون تأجيل أو انتظار. .

ونعمل معا. . جميعا. . كل المؤسسات الإعلامية والفكرية والثقافية والدينية فى كل الدول الإسلامية. .

وإذا لم نعمل بقوة. . وبسرعة. . وباستمرار. . فلا نلوم إلا أنفسنا فيما يحدث وما سيحدث لنا !.

ماذا يعلمون التلاميذ فى بريطانيا عن الصراع العربى الإسرائيلى؟

فى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية يقولون: إن مناهج الدراسة فى الدول العربية والإسلامية هى التى تكون عقلية الإرهاب، وتغرس الكراهية نحو «الآخر» سواء كان هذا «الآخر» هو الغرب أم إسرائيل.. ويطالبون بتغيير المناهج التعليمية لتربية الأجيال الجديدة من العرب على حب أمريكا والأمريكيين، وحب إسرائيل والإسرائيليين.

الغريب أنهم يطلبون ذلك من العرب والمسلمين ولا يطلبون ذلك من إسرائيل. . لايطلبون تغيير المناهج التى يدرسها التلاميذ فى المدارس الإسرائيلية بما فيها من مغالطات تاريخية وتشويه لحقائق الصراع العربى الإسرائيلى، وتصوير العرب على أنهم أعداء ومعتدون ويستحقون القتل والطرد والكراهية، وتصوير الإسرائيليين على أنهم الطيبون المعتدى عليهم وأصحاب الحق فى فلسطين، بينما الفلسطينيون هم الدخلاء! .

والأغرب من ذلك أن بعض الدول الإسلامية تتعرض لهجوم فى الصحافة الأمريكية بادعاء أنها تنشر «الإسلام المتزمت» حول العالم، وتمول وتشجع عناصر وتنظيمات إرهابية، وفى أول أبحاث المفكر الأمريكى فرانسيس فوكوياما عن «نهاية التاريخ» قال: إن حركة التاريخ انتهت فى لحظة انهيار الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم، وإن الصراع القادم بعد ذلك سيكون بين «الغرب» من ناحية والإسلام والمسلمين من ناحية أخرى، وفى آخر أبحاثه قام بتطوير هذه الفكرة بصياغة جديدة لتمريرها فى عقول المسلمين، فذكر أن الصراع الحالى ليس صراعا ضد الإسلام كدين وحضارة، ولكنه صراع مع «الفاشية الإسلامية» والفاشية الإسلامية فى تفسيره هى الأفكار الإسلامية

الراديكالية المتزمتة وغير العصرية التى انتشرت فى العالم الإسلامى، وقالت صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية التى تصدر فى لندن: إن «إصبع الاتهام تتجه بقوة إلى السعودية».. وهذا ما دعا الصحيفة إلى نشر حديث مع وزير التعليم العالى السعودى الدكتور خالد العنقرى تعليقاً على نظرية فوكوياما الجديدة التى تمهد لفصل جديد من العداء بين «الغرب» والإسلام والمسلمين عموما، والسعودية خصوصا، فقال الوزير: «إن فهم فوكوياما للإسلام والقرآن الكريم يبدو مشوها، مثل فهم أسامة بن لادن، وأسامة بن لادن ليس «وهابيا»، وكل ما حصل عليه من تعليم دينى لم يزد على ٨ ساعات، وليس فى السعودية كتاب يدعو إلى مثل هذه الأشياء اليوم، ويقصد ما ذكره فوكوياما من أن كتابا يدرس فيه تلاميذ الصف العاشر فى السعودية «أنه على جميع المسلمين التزام دينى بالولاء إلى بعضهم البعض، واعتبار الكفار أعداء لهم».

هكذا يعملون الآن على اصطياد كلمة أو جملة فى مقرر دراسى لادعاء أن الدول العربية تنشئ أبناءها على كراهية «الآخر» وتملأ نفوسهم بالرغبة فى الانتقام والاعتداء عليهم، وإذا لم يجدوا كلمة أو جملة ادعوها زورا وبهتانا كما فعل فوكوياما، وكشف وزير التعليم العالى السعودى هذا الزيف، وأضاف إلى ذلك قوله: إن خلفية فوكوياما لا تؤهله لعمل مهم مثل تفسير القرآن الكريم، وإذا كان تفسير الدستور الأمريكى يحتاج إلى علماء متخصصين، ويختلف المفسرون له بين متشدد وليبرالى، فإن ذلك أولى بالنسبة للقرآن الكريم وتفسيره. وفوكوياما ليس دارسا للأسباب والظروف وراء كل آية لكى يستوعب مضمونها ومعناها، وهو لا يدرك أن القرآن الكريم يجب النظر إليه نظرة شاملة ولا ينظر إليه نظرة انتقائية تخدم مصالح الشخص ووجهة نظره.

من ناحية أخرى لم يفكر فوكوياما أو غيره فى دراسة الكتب، والمناهج التى تدرس لتلاميذ المدارس فى إسرائيل، وتفسير التوراة، وكتب التاريخ بالذات، وكلها مليئة بالأكاذيب والمغالطات، وبروح العداء والكراهية والعدوانية.

كذلك لم يفكر فوكوياما أو غيره فى ذكر ما فى كتب ومناهج الدراسة فى الولايات المتحدة من الانحياز ضد العرب والمسلمين، سواء فى شرح وقائع التاريخ، أم فى تعليم الأمريكيين أسباب وتطورات الصراع العربى الإسرائيلى،

ومن ذلك أن أحد كتب التربية الاجتماعية المقررة على التلاميذ فى الولايات المتحدة تذكر صراحة أن سبب توتر العلاقات بين العرب والولايات المتحدة يرجع إلى انحياز أمريكا ومساعداتها العسكرية والسياسية والمالية لإسرائيل فى صراعها مع العرب !.

ومن دراسة أكاديمية للدكتور أحمد اللقانى أستاذ المناهج تتناول كيفية تدريس الصراع العربى الإسرائيلى فى منهج التاريخ لتلاميذ المرحلة الثانوية فى بريطانيا، نكتشف أن هذا المنهج ملىء بآراء ووجهات نظر مغايرة للحقيقة يتعلمها الطالب البريطانى وتنتقل إلى مجتمعات أخرى عن طريق الذين يدرسون المناهج البريطانية داخل وخارج بريطانيا وما أكثرهم، وهذا ما يؤدى إلى تكوين رأى عام معارض للحقوق الفلسطينية ومشبع بوجهة النظر الإسرائيلية وجاهل بوجهة النظر بالمواقف العربية.. وتكشف هذه الدراسة أن تعليم التلاميذ البريطانيين لتطورات الصراع العربى الإسرائيلى يفتقد الموضوعية، ولا يعرض وجهات النظر المختلفة، ومن هذه الدراسة أيضا نفهم لماذا يتكون الرأى العام فى بريطانيا بالصورة التى نشكو منها؟ ولماذا يشعر كثيرون فى بريطانيا بجفاء تجاه العرب والمسلمين.. على الرغم مما يبدو على السطح من توازن فى السياسة الرسمية أوفى بعض وسائل الإعلام؟

وأهمية هذه الدراسة أنها تمت تحت إشراف أستاذين بقسم التاريخ بمعهد التربية بجامعة لندن هما البروفيسور (دبليو. هـ. بيرستون) والبروفيسور (د. طومسون).. ومن خلال تحليل محتوى المنهج الذى يدرس للتلاميذ نجد أن كتاب التاريخ ركز على انتماء العرب واليهود إلى أرض فلسطين دون الإشارة إلى مراحل التطور الأخرى التالية التى أدت إلى ظهور المشكلة الحقيقة، كما يركز على أن المشكلة فى أساسها ترجع إلى أن كلا من اليهود والفلسطينيين لهم الحق فى أرض فلسطين، ولم يذكر الكتاب دليلا تاريخيا واحدًا لإثبات الحقائق المتعلقة بجذور المشكلة، بينما يشرح أحقية اليهود فى المنطقة، ويكتفى ببعض تلميحات للموقف العربى بصفة عامة وخاصة من الناحية الدينية، أما الموقف المصرى فلاذكر له، وملحق بالكتاب فيلم يشاهده التلاميذ كوسيلة من وسائل الإيضاح يركز على توحيد القدس كما لو كانت المشكلة كلها هى مدينة القدس فقط، دون

ذكر لاغتصاب الأراضى الفلسطينية بالقوة، وإقامة المستوطنات عليها بالمخالفة لقرارات الشرعية الدولية، ودون ذكر للاتفاقات التى سبق لإسرائيل التوقيع عليها والتى تقر فيها ببعض حقوق الفلسطينيين.

ويشير المنهج إلى أن الدول الأوربية أصبحت أكثر اهتماما بمنطقة الصراع مع نهاية القرن التاسع عشر، وكان العرب فى ذلك الوقت خاضعين للحكم التركى وبدءوا فى السعى إلى التحرر منه، وتعاونت أمريكا وأوربا على إنشاء الوطن القومى لليهود، ويبين أن وجود اليهود فى القدس يرجع إلى التاريخ القديم، وفى الكتاب صورة للقاء بين وايزمان وبلفور فى القدس سنة ١٩٢٥، وبعده سيرة ذاتية لتيودور هرتزل وأهداف الحركة الصهيونية كما عرضها هرتزل فى إعلان مؤتمر بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧، ثم السيرة الذاتية لهرتزل وجهوده فى سبيل الحركة الصهيونية.

والفصل الخاص لدراسة «أصول الصراع» لم يعرض أصول الصراع، ولم يذكر محاولات بريطانيا للسيطرة على المنطقة، والجانب الخاص بالحركة الصهيونية يتضح منه التحيز الواضح، إذ يشرح أصولها وأهدافها وفلسفتها والجهود التى بذلت من أجل الوطن القومى اليهودى، مع التركيز على الاضطهاد الذى تعرض له اليهود حتى يبدو كما لو كان اليهود هم أصحاب الحق فى المنطقة وهم الذين تعرضوا للاغتصاب!، ودون عرض لموقف الفلسطينيين وحقوقهم فى وطنهم، وفى الكتاب خريطة تبين تاريخ اليهود فى الدول الأوروبية فى محاولة لإثبات حقهم التاريخى فى أرض فلسطين، بينما لا يتضمن فى مقابل ذلك خريطة تبين علاقة العرب الفلسطينيين بوطنهم، وبدلا من ذلك نجد خريطة تبين الدول العربية والإسلامية فى أقصى اتساع لها فى العصور الوسطى، للإيحاء بأن الفلسطينيين يمكن أن يجدوا الأرض الواسعة أمامهم خارج فلسطين. وأهم من ذلك أن خريطة الدول العربية هذه جاءت بلا حدود سياسية تحاشيا لبيان موضع فلسطين، أوذكر اسمها، وفى هذا الفصل شرح لنظرة بريطانيا إلى الأهمية الاستراتيجية للمنطقة بسبب قناة السويس والبترول.

ويدرس التلاميذ فى هذا المنهج جانبا من كتاب هرتزل بعنوان «دولة يهودية» الذى نشر عام ١٨٩٦ مع نص آخر يدعو العرب للنهضة والاتحاد نشر عام ١٩٦٢.. ويبين هذا الجزء موقف الحركة الصهيونية والجهود التى قام بها هرتزل، دون توضيح كاف للموقف العربى إلا من خلال إشارات إلى بعض محاولات التحرر من سيطرة الحكم العثمانى ودون توضيح لموقف الدول العربية من الحركة الصهيونية وموقف مصر خاصة.

وحين يشرح المنهج تأثير الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ على تطور الأحداث فى المنطقة يشير إلى مخاوف بريطانيا من دخول روسيا فى دائرة الصراع فى المنطقة، وأن بريطانيا كانت تهدف إلى تدعيم القومية العربية من خلال مساعدة الشريف حسين، ودور الكولونيل البريطانى لورانس فى مساعدة العرب فى حربهم مع الحكم التركى ومساعدته لفيصل بن الشريف حسين، ويعرض المنهج بعد ذلك للاتفاق السرى بين إنجلترا وفرنسا لتقسيم ممتلكات الإمبراطورية العثمانية بينهما (اتفاق سايكس - بيكو) وينتقل إلى عرض الحركة الصهيونية وكيف أنها وجدت ترحيبا وتشجيعا من بريطانيا نتيجة لرغبة بريطانيا فى الحصول على مساعدة يهود الولايات المتحدة للضغط على الحكومة الأمريكية لدخول الحرب إلى جانب بريطانيا وفرنسا، بالإضافة إلى أن هناك من البريطانيين الرسميين من رأوا ضرورة وجود شعب موال لبريطانيا فى هذه المنطقة يكون قريبًا من قناة السويس، وفى ذلك محاولة لتبرير وعد بلفور الذى يعرضه الكتاب وكأنه كان ضرورة أو «حتمية تاريخية».

ولا يشير المنهج إلى الدوافع الوطنية وراء حركة الاستقلال فى العالم العربى، ويغفل ما ترتب على الاتفاق السرى بين إنجلترا وفرنسا من تمزيق الوطن العربى والتمهيد لزرع إسرائيل، ويعرض تعاطف وتشجيع بريطانيا مع الحركة الصهيونية بينما يخفى معالم الموقف العربى من هذه الحركة، ويعرض المطامع الروسية فى المنطقة، ومطالب الشريف حسين، واتفاق سايكس بيكو، ويتجاهل عرض أطماع إنجلترا وفرنسا فى المنطقة!.

ويكتفى المنهج بعرض سيرة الشريف حسين ولورانس ويغفل الشخصيات العربية الأخرى التى كان لها دور فى هذه المرحلة، ويتوسع فى شرح الاضطهاد

الذى تعرض له اليهود فى أوربا، ولا يشير إلى المجازر التى تعرض لها الفلسطينيون على أيدى العصابات الصهيونية قبل ١٩٤٨، والمجازر التى تعرضوا لها تحت الاحتلال الإسرائيلى بعد ذلك فيما عدا إشارة عابرة إلى مذبحة دير ياسين فقط دون ذكر المذابح الأخرى وما أكثرها ! .

والأفكار التى يسعى المنهج إلى غرسها فى عقول التلاميذ هى أن بريطانيا كانت تقوم بدور حضارى، وتسعى إلى دعم القومية العربية وتحرير الشعوب العربية من الحكم التركى. وهذا دور لم تقم به بريطانيا، بل كانت لها أهداف ومصالح تسعى إليها ولا يشير إليها الكتاب.. كذلك يهدف المنهج إلى غرس فكرة أن وعد بلفور كان أمرا ضروريا لإنقاذ اليهود من الاضطهاد، مع إغفال أن ذلك كان على حساب ضياع حقوق الفلسطينيين فى وطنهم، والانطباع الذى يخرج به الطالب هو أن الفلسطينيين هم المعتدون وليس الإسرائيليين، وحين يشرح المنهج الخلفية التى مهدت لبدء الحرب بين الطرفين العربى والإسرائيلى يبدو كما لو أن بريطانيا اتخذت موقفا متوازنا، بينما يظهر اليهود كما لو كانوا مناضلين لاسترداد حقوقهم من لعرب، أما الموقف المصرى فلم يظهر على الإطلاق فى هذه المرحلة إلا من خلال بيان أهمية قناة السويس.

وحين يتحدث الكتاب عن فترة الانتداب البريطانى فى فلسطين يشير إلى الهجرات اليهودية ومساندة بريطانيا لها ويكرر الحديث عن اضطهاد الألمان لليهود، ويظهر عدم التوازن فى عرض المشكلات التى وقعت بين العرب واليهود وأسبابها، فيشرح حجج اليهود ويغفل حقوق الفلسطينيين، ولا يبين قمع القوات الإنجليزية للفلسطينيين فى احتجاجهم على تشجيع سلطات الانتداب البريطانى لهجرات اليهود، ويظهر عدم التوازن أيضا فى شرح الكتاب لأسباب قبول اليهود لقرار تقسيم فلسطين وإغفال أسباب رفض العرب له، ويوضح تطور الهجرات اليهودية إلى فلسطين دون إشارة إلى تطور الأوضاع السكانية فى فلسطين وأسبابها، كما لا يتحدث عن عمليات اغتصاب أراضى الفلسطينيين وطردهم وتهجيرهم، ويتحدث الكتاب عن تقسيم الإمبراطورية التركية كما لو كان ذلك قد تم بفعل فاعل مجهول، دون ذكر شىء عن الدور البريطانى فى هذا التقسيم الذى غرس بذور الخلافات على الحدود بين الدول والإمارات العربية، والمغالطة

فى الكتاب واضحة فى تفسير معنى الانتداب البريطانى على فلسطين، بحيث تبدو بريطانيا كما لو كانت تقود حركة نهضة الشعوب العربية وتطورها، وتبدو هجرات اليهود إلى فلسطين كما لو كانوا هم أصحاب الحق فى الأرض الفلسطينية، ويتحدث عن سياسة بريطانيا كما لو كانت تعبيرا عن قيامها بمسئوليتها وليس لتسهيل المزيد من الهجرات اليهودية والتمهيد لإعلان بلفور وقيام دولة إسرائيل، وليس فى الكتاب ما يشير إلى حقوق الفلسطينيين فى وطنهم، ولا حديث عن الظلم الذى تعرض له الفلسطينيون، والحديث كله عن الاضطهاد الذى تعرض له اليهود، ويظهر فى الكتاب كما لو كانت المنطقة خالية من أية استجابة وطنية للموقف البريطانى المنحاز للصهيونية والهجرات اليهودية وتمكين الإسرائيليين من السيطرة على المواقع المهمة فى أرض فلسطين.

هكذا يعلم منهج التاريخ البريطانيين أن دولة إسرائيل قامت فى أرض اليهود وموطنهم الأصلى، وفى الكتاب صورة بن جوريون وهو يعلن قيام دولة إسرائيل فى مايو ١٩٤٨، ويركز على نقل الكنيست الإسرائيلى من تل أبيب إلى القدس، وإعلان القدس عاصمة لإسرائيل سنة ١٩٤٩ وصورة لمبنى الكنيست فى القدس، ويشرح بعد ذلك «قانون العودة» الإسرائيلى الذى صدر سنة ١٩٥٠ والذى يعطى لكل يهودى فى العالم الحق فى الهجرة إلى الوطن الجديد، مع صورة لتطوير الزراعة فى الأرض الصحراوية والمستعمرات والتطورات الاقتصادية فى إسرائيل، وصور للقرى الجديدة التى أنشأها الإسرائيليون وتطور القوات المسلحة الإسرائيلية، دون إشارة إلى تدهور الأوضاع فى الجانب الفلسطينى وما تعرضوا له من الضغط والإرهاب والتشريد، ويكتفى فقط بإشارة لمقابلة تليفزيونية عام ١٩٧٥ قال فيها أحد الإسرائيليين: إن الفلسطينيين لهم أيضًا حقوق فى أرض فلسطين.

وحتى عندما أشار المنهج إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣ اكتفى بالإشارة إلى أنها كانت فرصة أظهر فيها العرب توحدهم خاصة فى منع البترول عن الغرب، وإن كان المنهج يشير إلى مذبحة دير ياسين مع صورة لطابع بريد تذكارى صدر فى مصر فى ذكرى هذه المذبحة، وإشارة إلى حرب ١٩٤٨ التى انتهت باحتلال إسرائيل لبعض الأراضى العربية ورفضت إعادتها بعد ذلك، ويذكر أسباب انتصار إسرائيل فيلخصها فى: الاضطهاد الذى تعرض له اليهود، والمساعدات

الأمريكية، ودعم اليهود الأمريكيين، وقوة الجيش الإسرائيلى وتنظيمه وتدريبه على الرغم من أنه كان جيشا صغيرا، إلى جانب شرح تسليحه وقياداته ومنهم موشى ديان، ويتحدث المنهج عن سوء التنظيم والقيادة فى الجيوش العربية، ويشير إلى أنه لم يكن بين القادة سوى ضابط شاب مصرى كان على قدر من المهارة والشجاعة هو جمال عبد الناصر.

هذا ما يتعلمه التلاميذ البريطانيون فى جزء من المنهج خاص بالتاريخ القديم حتى حرب ١٩٤٨، وهكذا يتم تكوين عقول الأجيال من البريطانيين. . هل يمكن أن نصدق ما يقال من أن المنهج البريطانى متوازن فى طرح الحقائق التاريخية. بينما كل سطر فيه يكشف الانحياز الواضح والتزييف والمغالطة وبالتالى يحق للعرب أن يطالبوا بتصحيحه ؟ ! . .

إنهم فى الغرب يطلبون من العرب أن يغيروا مناهج الدراسة لتلاميذهم.. فلماذا لا يغيرون هم أيضا مناهج الدراسة عندهم لإزالة ما فيها من أخطاء، وانحياز ومغالطات ضد العرب وضد الإسلام والمسلمين ؟ .

ماذا يعرف البريطانيون عن الحقوق العربية !

تصيبنا الدهشة عندما نجد قطاعا من الرأى العام فى بريطانيا منحازا لإسرائيل، وأكثر تصديقا وتعاطفا مع الأكاذيب والمغالطات التى تؤسس عليها مواقفها، ويبدو غير مستعد للتجاوب مع الحقائق التى يستند إليها الحق الفلسطينى، ولكن هذه الدهشة سوف تزول عندما نستكمل القراءة عن علىٰ مراحل الصراع العربى الإسرائيلى فى منهج التاريخ الذى يدرس لتلاميذ المرحلة الثانوية فى بريطانيا.

هذا الموضوع الذى سبقت الإشارة إليه كان أحد مشروعات المجلس المدرسى البريطانى، كما كان موضوعا لدراسة أكاديمية للدكتور أحمد حسين اللقانى أستاذ المناهج فى مصر. وتم تحت اشراف اثنين من كبار الأساتذة البريطانيين كما ذكرنا..

والملاحظ أننا نجد فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون البريطانى - حرصا على إظهار التوازن فى عرض الأخبار ومناقشة الخلافات بين الفلسطينيين والإسرائيليين - نشر وإذاعة صور للاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين، وفى نفس الوقت نجد الانحياز واضحا فى منهج الدراسة الذى يؤسس عقول البريطانيين ومشاعرهم، وسلوكهم، كذلك نجد التوازن إلى حد كبير عند تدريس تاريخ مصر وتاريخ العلاقات المصرية البريطانية، ولكن نجد الانحياز واختلال التوازن بوضوح عند تدريس العلاقات الفلسطينية البريطانية والعلاقات الإسرائيلية البريطانية.. ونجد الاهتمام ببيان جهود إسرائيل قبل عام ١٩٤٨ لجذب يهود جدد إلى الوطن الجديد، وتطوير اقتصادها وقواتها «الدفاعية»، دون إشارة إلى تأثير تلك الأحداث على تدهور أوضاع الفلسطينيين وأساليب الضغط والإرهاب التى تعرضوا لها..

وفى هذا الجزء من كتاب التاريخ نجد أن الوطن الإسرائيلى قام فى «موطن اليهود الأصلى» دون أن يتضمن شيئا عن حقوق الفلسطينيين فى هذه الأرض، ويكتفى بتسجيل إعلان قيام دولة إسرائيل وهجرات اليهود إليها، وتشجيع الحكومة البريطانية لهذه الهجرات.

وعندما يتطرق الكتاب إلى موضوع التطور فى مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يحاول إظهار بريطانيا فى موقف المتحكم فى مجريات الأمور فى مصر، فيشير إلى أنها هى التى سمحت ببقاء عشرة آلاف جندى بريطانى فى منطقة القناة لمدة عشرين سنة دون إشارة إلى مقاومة الشعب المصرى للاحتلال البريطانى، ويعرض فترة حكم الملك فاروق فيشير إلى أن الشعب لم يكن راضيا عنه، وأن الأوضاع الاقتصادية كانت سيئة، خاصة فى وجود نظام الإقطاع، بينما كان معظم الشعب يعانى من الفقر. ويقدم بعد ذلك سيرة ذاتية مختصرة للملك فاروق، ويعرض صورة للقوات البريطانية فى منطقة القناة سنة ١٩٥١، ثم يعرض بإيجاز لأحداث ثورة ١٩٥٢ وتنظيم الضباط الأحرار، وإعلان الجمهورية والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية بعد الثورة وإبعاد النفوذ البريطانى عن مصر، ويشير إلى أن جمال عبد الناصر كان موفقا فى مفاوضاته مع بريطانيا مما أدى إلى انسحاب القوات البريطانية من منطقة القناة، ويشرح بعد ذلك بالتفصيل معركة ١٩٥٦ ابتداء من تفكير جمال عبد الناصر فى بناء السد العالى ووعد أمريكا بتقديم قرض من البنك الدولى لهذا المشروع الذى كان عبدالناصر يعلق عليه أهمية كبيرة، ثم تأثير الولايات المتحدة فى سحب البنك الدولى للقرض بعد ذلك واضطرار عبد الناصر إلى تأميم القناة والاستعانة بالاتحادالسوفيتى لبناء السد، مع صورة لجمال عبد الناصر وخروشوف، وصورة أخرى لقناة السويس، وصورة ثالثة لسد أسوان، ونص إعلان تأميم شركة قناة السويس، ويشير بعد ذلك إلى أن تأميم القناة كان أحد الأسباب الرئيسية لحرب ١٩٥٦، ويبدو عرض هذا الجزء من المنهج متوازنا وموضوعيا..

بعد ذلك يعرض للتطورات الاقتصادية فى مصر، خاصة قوانين الإصلاح الزراعى وتحديد الملكية، وينتقل إلى وصف قيادة جمال عبد الناصر للعالم العربى وكيف أن بعض الدول العربية الأخرى حاولت أن تحذو حذوه، وكيف استطاع

عبد الناصر استخدام الإذاعة والإعلام وأن يفيد منهما، وكيف أعلن قبول التحدى لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى عام ١٩٥٦. حتى أصبح محورا للقومية العربية بعد أزمة القناة، ويعرض الكتاب بعد ذلك دور عبد الناصر فى الوحدة بين مصر وسوريا، ومحاولة الوحدة بين مصر وسوريا والعراق، والمقاطعة للبضائع الإسرائيلية، وتبنى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ثم يعرض لحرب أكتوبر ١٩٧٣ واتفاق العرب على موقف واحد وخاصة بالنسبة للبترول. . ويقول الكتاب.. إن هذا الموقف العربى الموحد يختلف عما كان سائدا من علاقات التفكك والتعارض فى السياسات فى أواخر عهد عبد الناصر. .

ويغفل المنهج ثورات الشعب المصرى ضد الاحتلال البريطانى وتطور الحركة الوطنية، وإن كان يتحدث عن الثورة وعن عبد الناصر وأحداث تأميم القناة وحرب ١٩٥٦ والقومية العربية. إلا أنه يكتفى من حرب ٧٣ بجانب واحد هو توحد العرب وقطع البترول، ويغفل ما أحرزته القوات المصرية من انتصار. .

ويخصص الكتاب بعد ذلك فصلا عن حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ويبدأ بخريطة تبين مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ويقدم عرضا موجزا لمذبحة دير ياسين، وقيام جيوش مصر ولبنان والعراق وسوريا والأردن «بغزو» إسرائيل فور إعلان قيام الدولة فى ١٤ مايو ١٩٤٨.. ويقول: إن جيوش العرب حققت بعض التقدم، ولكن انتهى الأمر بانتصار إسرائيل واستيلائها على أراض عربية جديدة وعقد الهدنة سنة ١٩٤٩ دون أن يتحقق السلام الدائم، وبعد ذلك رفضت إسرائيل إعادة الأراضى العربية التى احتلتها، ورفض العرب الاعتراف بدولة إسرائيل أو إنهاء حالة الحرب معها. .

ويدرس التلاميذ فى بريطانيا أحداث حرب ١٩٥٦ والموقف فى غزة وشرم الشيخ ومضايق تيران من زاوية واحدة هى رفض مصر السماح للسفن الإسرائيلية بالعبور فى قناة السويس، وكأن ذلك كان اعتداء من مصر على حق إسرائيل، ويشير إلى مقاطعة الدول العربية للبضائع الإسرائيلية، ورفضها استخدام إسرائيل لأراضيها للعبور، كما يشير إلى موضوع حصول مصر على السلاح من تشيكوسلوفاكيا.. ويقول الكتاب: إن هذه الأسلحة فى الواقع كانت قادمة من روسيا، الأمر الذى يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة فى المنقطة، وهذا

مادفعها إلى سحب القرض من البنك الدولى لمشروع السد العالى وما ترتب على ذلك من تأميم القناة، وقد تأثرت إنجلترا وفرنسا بهذا القرار لأنه يتعلق بإمدادها بالبترول من الشرق الأوسط، مما دفع البعض إلى تسمية جمال عبد الناصر «هتلر النيل» بالإضافة إلى شعور الفرنسيين بالأخطار المترتبة على مساعدة مصر للجزائر، وهكذا يبدو فى نظر التلاميذ أن عدوان ١٩٥٦ على مصر كان أمرا طبيعيا وكأنه أمر لمصلحة الغرب لابد منه.

ويعلم الكتاب التلاميذ ما جرى فى حرب ١٩٥٦ على أنه «الغزو» الإسرائيلى لمصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ دون إشارة إلى الدور البريطانى والفرنسى منذ البداية. ويشرح بعد ذلك استيلاء إسرائيل على منطقة الممرات والقسيمة وغزة وسيناء بأكملها، ثم يشير إلى المساعدات التى تلقتها إسرائيل فى هذا «الغزو»، ويدعم ذلك بخريطة لاتجاهات الهجوم الإسرائيلى البريطانى الفرنسى، وخريطة أخرى تبين المواقع التى سيطرت عليها إسرائيل فى سيناء ١٩٥٦، ثم يعرض الإنذار البريطانى الفرنسى لوقف إطلاق النار وانسحاب الطرفين المصرى والإسرائيلى ١٠ كيلو مترات على جانبى القناة بما كان يعنى أن تنسحب القوات المصرية من الأراضى المصرية شرق القناة أيضا، ورفض مصر لهذا الإنذار، وما أعقبه من تدخل القوات البريطانية والفرنسية وتقدمها إلى بورسعيد، وتعطيل مصر للملاحة فى القناة، والتدخل الحاسم لروسيا، وإنذارها بالتدخل فى الحرب وضرب القوات البريطانية والفرنسية، مما دفع الأمم المتحدة للضغط على بريطانيا وفرنسا لسحب قواتها واحتلال قوات الأمم المتحدة محلهما..

ويشرح الكتاب ما كسبته إسرائيل من حرب ١٩٥٦، وما ترتب على هذه الحرب من تزايد النفوذ السوفيتى فى المنطقة، ويعرض بعد ذلك بعض عناوين الصحف البريطانية الصادرة يوم غزو ١٩٥٦ فى ٣١ أكتوبر، كما يعرض ثلاث صور للقوات الإسرائيلية «بعد النصر» وصورة لطائرة مصرية يجلس تحتها بعض الجنود فى انتظار الأوامر فى شرم الشيخ.

أما حرب ١٩٦٧ فإن الكتاب المقرر على التلاميذ البريطانيين يتحدث عن نتائجها باستيلاء إسرائيل على مرتفعات الجولان والضفة الغربية وسيناء، ويرجع أسباب «النصر» الإسرائيلى إلى تفوق إسرائيل فى السلاح الجوى،

وتحطيم السلاح الجوى المصرى فى أربع ساعات، ويتضمن هذا الجزء صورة لموشى ديان فى بيت لحم، وصورة أخرى لأسرى مصريين، وصورة ثالثة تبين ما أصيب به العرب من انهيار بعد حرب الأيام الستة، وسيرة ذاتية عن موشى ديان. . ويقول الكتاب : بعد ذلك: وبالرغم من هذه النتيجة؛ فإن السلام لم يتحقق بين الطرفين، لأن العرب رفضوا الاعتراف بإسرائيل، وطالبوا بإعادة الأرض المحتلة، بينما حرصت إسرائيل على الاحتفاظ بالأرض المحتلة «ضمانا للحدود الآمنة» .

وينتقل الكتاب بعد ذلك إلى «حرب كيبور» (العاشر من رمضان) سنة ١٩٧٣ والتعاون المصرى السورى فيها، والإمدادات العسكرية السوفيتية لهما، والإمدادات العسكرية الأمريكية لإسرائيل، ويتضمن هذا الجزء خريطتين إحداهما تبين تحركات القوات فى الحرب واتجاهات المساعدات السوفيتية والأمريكية للطرفين، والأخرى تبين اتفاق الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية وصورتين للملك حسين فى جولة فى الخطوط الأمامية، والأخرى لأحد الصواريخ السوفيتية الصنع، ثم يتحدث الكتاب عن التدخل الروسى الأمريكى ومجلس الأمن وإعلان وقف إطلاق النار، وتوقيع اتفاق الكيلو ١٠١. ويتحدث بعد ذلك عن الاختلافات بين هذه الحرب مع إسرائيل والحروب السابقة فيقول: إن العرب استفادوا من الحروب السابقة، وكانوا يملكون أسلحة متطورة أمدتهم بها روسيا، مما يدل على أن إسرائيل لم تعد تملك القوة والسيادة فى المنطقة، كما يدل على أن العرب استعادوا قوتهم القتالية، وارتفعت معنوياتهم .

فى هذا الجزء من الكتاب المقرر نجد عرض الحروب الأربع بين العرب وإسرائيل يبدو متوازنا. ولكن ليس فيه إشارة إلى أوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلى.. وأغفل الكتاب وجهة النظر الغربية للاعتداء على مصر سنة ١٩٥٦.. ويتحدث عن موشى ديان كقائد منتصر.. ويؤكد أن هذه الحرب كانت سببا فى ضعف العرب وانهيارهم، ولا يشير إلى الكفاءة المصرية فى التخطيط وإدارة العمليات فى حرب ١٩٧٣، ولكنه يرجع انتصار المصريين فى هذه الحرب إلى المساعدات الروسية فى الخطوط الأمامية، كما يعرض صورة الملك

حسين على الجبهة المصرية السورية دون إشارة إلى أحد من قادة حرب أكتوبر المصريين. ولا يشير إلى اجتياز المانع المائى وتحطيم خط بارليف، ويكتفى بالقول بأن المصريين استطاعوا العبور إلى الضفة الشرقية لقناة السويس.

ويكرر الكتاب الإشارة إلى الاضطهاد الذى تعرض له اليهود بقصد تأكيد فكرة أن اليهود لهذا السبب هم أصحاب الحق فى هذه الأرض موضوع النزاع العربى الإسرائيلى.. ويشرح منع مصر للسفن الإسرائيلية من المرور فى القناة كما لو كان لإسرائيل الحق فى ذلك وكأن منعها عدوان عليها، ويشرح عدوان ١٩٥٦ كما لو كان الغزو من إسرائيل وحدها ولم تشترك فيه بريطانيا وفرنسا منذ البداية منذ اتخاذ القرار والتخطيط والإعداد له، واشتراك قوات البلدين فى الغزو واحتلال بورسعيد.

والتلميذ البريطانى معذور إذا لم يعرف معظم المواقف العربية ويعرف بالتفصيل المواقف الإسرائيلية وتطور الصراع العربى الإسرائيلى من وجهة نظر إسرائيل.. وإن كان المنهج يشير إلى تغيير إسرائيل للحدود عقب كل حرب، لكنه يبرر ذلك بأنه لتوفير الحدود الآمنة لها لحمايتها من جيرانها العرب، بل يستثير شفقة التلاميذ على إسرائيل بشرح المشكلة التى واجهتها نتيجة لتلك التوسعات التى جعلتها مطالبة برعاية مليون عربى يعيشون فى تلك المناطق.. ويعرض الكتاب طابع بريد من سوريا للدعوة لمعونة المهاجرين الفلسطينيين، وصورة لمسجد عمر بالقدس، وصورة لمظاهرة بالقاهرة ضد اليهود سنة ١٩٦٧ وماترتب على ذلك من هجرة اليهود من مصر إلى إسرائيل، ويقول: إنه لم يبق فى مصر سوى ٢٥٠٠ يهودى فى القاهرة والإسكندرية عوملوا معاملة سيئة، ويشمل هذا الجزء أيضا صورة معلم إسرائيلى يدرس لتلاميذ من عرب فلسطين لكى يعطى الانطباع بأن الإسرائيليين يتعاملون مع الفلسطينيين ويساعدون أبناءهم، وصورة ثانية تشير إلى اعتبار عبد الناصر «هتلر آخر» وصورة طابع بريد ثانية أصدرته الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة يوم فلسطين.

ولا يشير الكتاب إلى أن استيلاء إسرائيل على الأراضى العربية هو اغتصاب وعدوان على أرض الغير، ويكتفى بالإشارة إلى أهمية هذه الأراضى لأمن

إسرائيل، ويتحدث عن رعاية إسرائيل لمليون عربى دون إشارة إلى نزوح الفلسطينيين وترك ديارهم، ويقول الكتاب: إن أوضاع اليهود فى مصر كانت سيئة ولا يتحدث عن أوضاع الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلى.

وطبيعى بعد ذلك أن يكون كل ما يعرفه البريطانيون هو حق إسرائيل فى اغتصاب أراضى العرب، وأن عبد الناصر «هتلر جديد»، بينما يجهلون ما يعانى منه الشعب الفلسطينى لأكثر من نصف قرن من القتل والاغتصاب والتشريد.

وحين يتحدث الكتاب عن مشكلة اللاجئين يشرح بالتفصيل أسباب رفض إسرائيل عودتهم، بل يقول الكتاب: إن القادة العرب أشاروا على الفلسطينيين بترك أراضيهم سنة ١٩٤٨ تحاشيا لهجوم الجيوش العربية على إسرائيل، ويبرر رفض إسرائيل لعودة اللاجئين بدواعى الأمن، ويقول: إن الدول العربية تهمل شئون الفلسطينيين ولا تتيح لهم فرص العمل لأسباب سياسية.

وماذا يتعلم البريطانيون عن المقاومة الفلسطينية للاحتلال؟

يتضمن الكتاب خطابا من شاب فلسطينى إلى أمه يشرح فيها آلامه ورفضه البقاء كلاجئ وقراره بالانضمام إلى إحدى المنظمات الفدائية، ويتضمن هذا الجزء سيرة ذاتية لياسر عرفات، وصورة مطار بيروت بعد هجوم الطيران الإسرائيلى عليه فى ديسمبر ١٩٦٨، وصورة أخرى لمجموعة من أطفال إسرائيليين «بدون بيت أو أم» بعد هجوم الفدائيين الفلسطينيين عليهم سنة ١٩٧٠، وإشارة إلى حق إسرائيل فى قمع الفلسطينيين لوقف الاعتداءات الفلسطينية المتكررة عليها، ويقول الكتاب: إن العلاقات بين منظمات المقاومة والحكومات العربية مفككة، ويعرض لرفض الملك حسين لنشاط الفدائيين ضد إسرائيل، ويشير إلى دور عبدالناصر فى تطبيع العلاقات بين عرفات والملك حسين.

وفى الفصل الأخير من الكتاب شرح لجهود الأمم المتحدة، مع نصوص للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، ويشرح دور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الصراع بصورة متوازنة لأنه لا يمس موضوع حق الفلسطينيين فى وطنهم، ويعرض بطريقة غير موضوعية أهداف الولايات المتحدة من مد نفوذها فى المنطقة، خاصة عندما يذكر أن هدف أمريكا يتلخص فى دعم علاقات الصداقة بين

جميع دول المنطقة دون إشارة لحقيقة الأهداف الأمريكية سواء فى دعم إسرائيل وتجاهل الحقوق العربية أم فى التواجد العسكرى المباشر فى المنطقة .

وفى الفصل الخاص بالبحث عن السلام يعرض الكتاب موقف مصر وإسرائيل وأمريكا ومواقف المعارضة العربية لاتفاقية السلام التى وقعها السادات وبيجن برعاية الرئيس الأمريكى جيمى كارتر، مع صورة طفلين أحدهما عربى والآخر إسرائيلى يتصافحان دليلا على بدء رحلة «العيش فى سلام» .

بعد هذه الدراسة التحليلية الطويلة نعرف من أين تكونت الأفكار المغلوطة والمواقف غير المتوازنة وغير الموضوعية لقطاع كبير من البريطانيين. . لأنهم تعلموا فى المدارس أن يكونوا كذلك .

وإذا كان الإعلام البريطانى يحاول أن يكون موضوعيا متوازنا إلى حد ما، فلماذا لا تكون مناهج الدراسة كذلك ؟

obeikandl.com

فلتات اللسان تكشف العداء للإسلام !

علماء النفس يقولون: إن ما يكشف حقيقة ما تخفيه العقول ليس ما يقوله الإنسان بعد تفكير وتَرَوٍّ، لأنه فى هذه الحالة يختار الألفاظ لتعبر عما يجب أن يقوله نفاقا أو كذبًا أو لإرضاء الآخرين ، أما المشاعر الكامنة فى الأعماق فإنها تظهر خلسة فى فلتات اللسان، أو فى رد الفعل السريع .

وبذلك يمكن أن نفهم المعنى والمغزى لفلتات اللسان التى ترددت على ألسنة بعض الزعماء والقادة وكبار رجال الدين فى الغرب، ونفهم السلوك العدائى ضد المسلمين الذى جاء كرد فعل لحادث سبتمبر، ولا نكتفى بما قالوه بعد ذلك بأنها كانت مجرد فلتات لسان ، مادامت الكلمات الصادرة عن فلتات اللسان أكثر صدقا من الكلمات الصادرة عن العمد والانتباه والوعى .

وعلى سبيل المثال، كيف نغفر ما جاء فى المقال الذى نشرته مجلة «ناشيونال ريفيو» الأمريكية بقلم ريتش لورى أحد كتاب المجلة وقال: إن ضرب مكة المكرمة بقنبلة نووية سوف يكون رسالة للمسلمين.. وأثارت هذه الكلمات ملايين المسلمين فى أنحاء العالم عندما تناقلتها الصحف ومواقع الإنترنت بمختلف اللغات، وكان مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكى أول من نبه إلى هذه الفكرة العدائية المجنونة التى وصلت إلى حد التحريض على تدمير أقدس مكان للمسلمين ، ومهما يقال من أن هذا الموقف لا يمثل الأمريكيين جميعا ، فقد كشف عن أن فى أمريكا تيارًا يصل به العداء للإسلام والمسلمين إلى مثل هذا التفكير.

وقد أعاد هذا المقال الغريب إلى الأذهان وقائع ما جرى فى أمريكا عقب أحداث ١١ سبتمبر والذى كان موضع دهشة واستغراب المسلمين فى أنحاء العالم.. ففى أعقاب الهجوم الإرهابى على مركز التجارة العالمى والبنتاجون أعلن مجلس

العلاقات الإسلامية الأمريكية أن الحقوق والحريات المدنية للمسلمين فى أمريكا تواجه مخاطر غير مسبوقة ، وأن المجلس تلقى مئات الشكاوى من المسلمين فى أمريكا عن حالات القتل، وتهديد بالقتل ، والتحرش ، وتخريب الممتلكات، والاعتداءات من رجال الأمن ، والمضايقات فى المطارات والمدارس وأماكن العمل، ورسائل البريد التى تحمل الشتائم والتهديد ونشرت الصحف الأمريكية أن مئات من الشبان العرب فى أمريكا تلقوا استدعاءات من الشرطة فيما وصف بأنه«حملة» تستهدف العرب والمسلمين ووصل الأمر إلى حد أن بعض منظمات حقوق الإنسان الأمريكية أعلنت خشيتها من أن تكون السلطات قد بدأت حملة مكارثية جديدة ضد العرب والمسلمين بمن فيهم العرب الأمريكيون ، فقد تم وضع تليفوناتهم وتليفونات أصدقائهم وأقاربهم تحت المراقبة ، كما نشرت الصحف أيضًا أن أعدادا من الطلبة من بلاد إسلامية غادروا الولايات المتحدة لشعورهم بالخوف ، وأعلنت منظمات مسلمى أمريكا أنها تتعرض لحملة فى الإعلام ومضايقات من الدوائر السياسية لتشويه صورتها ، فضلا عما اتخذته الحكومة الأمريكية من تجميد أموال مؤسسات وبنوك وأفراد مسلمين من داخل وخارج أمريكا بدعوى أن لهم صلة بتنظيم القاعدة.

وتصاعدت هذه الحملة إلى حد أن الأستاذ محمد وهبه الصحفى المصرى الذى يعيش فى أمريكا منذ سنوات طويلة كتب مقالا بعنوان «رؤية شاهد عيان: محنة العرب والمسلمين فى أمريكا» قال فى بدايته : «اعترف بأننى للمرة الأولى بعد ما يقرب من ١٥ سنة قضيتها فى أمريكا أشعر بأننى لست أجنبيًا فقط، ولكننى قد أكون إنسانا غير مرغوب فيه.. ففى أمريكا وخاصة واشنطن و نيويورك على الساحل الشرقى ، ولوس أنجلوس على الساحل الغربى تختلط كل الأجناس والأديان مماكان يقلل إلى حد ما الشعور بأننى غريب عن أهل البلد كما شعرت فى الهند أوبريطانيا أو ألمانيا ، ولكن هذا الشعور تبدل فى يوم واحد بعد الهجوم الإرهابى الرهيب على واشنطن حيث أعيش ، وعلى نيويورك حيث يعيش أكبر أبنائى الذى يسكن فى المنطقة التى استهدفها الهجوم ، وظل قابعا فى مسكنه لأيام بعد أن علم بأن بعض الأمريكيين العرب والمسلمين رجالا ونساء تعرضوا

للضرب والسباب بأفظع الألفاظ التى تزخر بها العامية الأمريكية ، وعندما استأنف عمله وجد أن كل سيارات التاكسى فى نيويورك قد خلت من الوجوه العربية الملامح التى كانت تميز عددا كبيرا من سائقيها بعد أن تم الاعتداء على بعضهم بجرهم وضربهم فى الشوارع، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد تنوعت أشكال الاعتداءات رغم نداءات الرئيس بوش والقيادات السياسية ، ولم يعد السؤال متى تنحسر هذه الاعتداءات؟ ، ولكن : هل يمكن أن تعود العلاقات بين الأمريكيين والمسلمين إلى ما كانت عليه. . وكيف بعد أن أعلن الكثيرون أن «الصدام الحضارى» بين الغرب والإسلام قد بدأ بالفعل ؟.

وقال الأستاذ محمد وهبة أيضًا: إن الأمريكيين العرب وعددهم ثلاثة ملايين ، والأمريكيون المسلمون وعددهم سبعة ملايين يشكلون جزءًا لا يتجزأ من النسيج القومى الأمريكى، ويعانون أيضًا مما يعانى منه بقية الأمريكيين، وفقدوا أيضًا أقارب لهم فى الهجوم الإرهابى ، فهم قاسوا من نوعين من الهجوم. . من الإرهاب ، ومن الأمريكيين. . على حد تعبير على أبو زعكوك المدير التنفيذى للمجلس الإسلامى الأمريكى. وقد قال الدكتور زياد عسلى المدير التنفيذى للجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز، «كنا على وشك القيام بأول حملة إعلامية علمية لتصحيح صورة العرب فى أمريكا ولكن بدلا من ذلك قررنا تعطيل العمل فى المقر الرئيسى للمنظمة حتى لا يتعرض الموظفون للخطر.. وقد تلقيت مكالمة من رئيس الشرطة المسئول عن منطقتنا يستفسر إذا كنا نواجه أى تهديد فأبلغته بما تلقيته من رسائل فأرسل فريقا من الشرطة لحماية المكتب والموظفين .

وقد نشرت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية مقالا عن التحيز ضد العرب والمسلمين فى الوظائف ، بقلم كريستين دونى جريمسلى قالت فيه إن العرب والمسلمين يواجهون التفرقة والتحيز ضدهم فى أماكن العمل أضعاف ما كانوا يواجهونه قبل سبتمبر، وهذا ما أعلنته هيئة المساواة فى فرص العمل، وأعلنت أيضا أن أعدادًا كبيرة من المسلمين تعرضوا للطرد من وظائفهم ، وقالت رئيسة الهيئة إن موجة العداء والتحرش بالعرب والمسلمين ازدادت. .

كما نشرت صحيفة «هيرالد تريبيون» الأمريكية مقالا بعنوان : «فلننتبه لما نقوله» طالبت فيه القادة السياسيين والمدنيين فى الولايات المتحدة بعدم إبداء التعصب ضد المسلمين كما يفعلون الآن دون تحفظ، وقالت إن المسلمين فى الولايات المتحدة تعرضوا للهجوم مما أدى إلى تأجج المشاعر ، خاصة مع تواجد القوات الأمريكية فى أراضى دول إسلامية.

وذكرت الصحيفة الأمريكية ما أعلنه القس فرانكلين جراهام فى خطابه يوم تولى الرئيس بوش الابن السلطة فقد قال : «نحن لا نهاجم الإسلام، ولكن الإسلام هو الذى يهاجمنا. . إن إله الإسلام ليس هو نفس الإله، إنه ليس ابن الإله كما فى العقيدة المسيحية، إنه إله مختلف ، وإننى اعتقد أن هذا الدين دين شرير ويدعو لإيذاء الغير» .

كما ذكرت الصحيفة ما قاله رئيس لجنة الإرهاب والأمن القومى التابعة للكونجرس والمرشح لرئاسة مجلس الشيوخ فى ولاية جورجيا «زيكسباى شامبليس» ، فقد أبدى اقتراحًا لمحاربة الإرهاب ملخصه : «فلنعط لعمدة كل مدينة الحرية فى القبض على كل مسلم يعبر الحدود» .

وعلقت الصحيفة على ذلك بأن الناس لا يتمتعون بالحكمة لإدراك أن مثل هذه التعبيرات غير المسئولة خطيرة ، وأن عليهم أن يدركوا أنهم يتسببون فى تشويه وضع الرئيس بوش، وأن مثل هذه التعليقات التى تصف المعركة القائمة بأنها معركة بين الغرب والإسلام ، أو تصف المسلمين بأنهم أعداء ، هذه التعليقات موضع ملاحظة فى الداخل والخارج ، وتجعل جهود البيت الأبيض تبدو كاذبة .

وقالت الصحيفة إن شامبليس كانت لديه الشجاعة فأعلن اعتذاره ، وقال إن تعليقه كان أقرب إلى المزاح ! . . بينما لم يقدم القس جراهام اعتذارا. . بل زاد الأمر سوءا ببيان أصدره قال فيه إن لديه مخاوف بشأن تعاليم الإسلام الخاصة بمعاملة المرأة ، وقتل المسلمين لغير المسلمين، وقتلهم المرتدين تنفيذا لحد الردة وأشار إلى أنه سبق أن أفصح عن هذه المخاوف فى الماضى ، وأنه لا يريد أن يوجه للإسلام انتقادات أكثر من ذلك الآن ! .

أما رئيس وزراء إيطاليا سيلفيو برلسكونى فقد أثار المسلمين فى العالم عندما قام بدون مناسبة بالإدلاء بتصريح غريب قال فيه : « إن الحضارة الإسلامية تتسم بالانحطاط والجهل وإنها حضارة متخلفة ولم تقدم للبشرية شيئًا ، بينما الحضارة الغربية هى الحضارة القائدة والرائدة منذ الحضارة اليونانية والرومانية حتى الحضارة الغربية الحديثة». وإن كان قد تراجع بعد ذلك وقام بزيارة إلى المركز الإسلامى فى روما وألقى فيه خطابا وجه فيه التحية إلى المسلمين الذين يعيشون فى المدن الإيطالية وقال عنهم: إن لهم دورًا اجتماعيًا مهما فى إيطاليا ، وقال أيضا: إنه من غير المقبول أن يوصم بالإجرام دين عظيم يعتنقه أكثر من مليار إنسان بسبب أعمال العنف التى ارتكبها أفراد أو مجموعات تسعى إلى تحقيق مخططات سياسية بأعمالها الإجرامية. وإن من يستخدم الإسلام لتبرير إرهابه فإنه يهين الإسلام ويسىء إليه مثله فى ذلك مثل من يستخدم اسم المسيحية لتبرير العنف فيسىء إلى المسيحية، وإن أوربا خرجت بصعوبة من العصور المظلمة التى أنتجت أيديولوجية متعسفة تسببت فى حروب وأدت إلى اضطراب العالم وقيام مذابح فظيعة راح ضحيتها أبرياء ونتج عنها دمار غير مسبوق فى التاريخ. وإن هذه الذكرى المؤلمة لما فعلته أوربا جعلت الجميع حريصين على طى هذه الصفحة وترسيخ جذور الديمقراطية وبدء مسيرة للمصالحة والدفاع عن كرامة الشعوب ولهذا تدخلت أوربا فى البلقان حين اشتعلت نيران الحرب والكراهية العرقية والدينية ، وساعدت أوربا المسلمين فى البلقان عسكريا وإنسانيا. .

وطبعا كانت كلمات الاعتذار مكتوبة ومعدة من مساعدى رئيس الوزراء من الخبراء والمتخصصين. . أما فلتة اللسان فكانت من برلسكونى ذاته فى لحظة لم يستطع فيها إخفاء مشاعره وأفكاره التى كانت مضمرة لم يعلنها من قبل ، وقفزت ربما دون وعى منه فى لحظة انفعال. .

البعض يشير إلى عبارة الرئيس الأمريكى بوش التى وصف بها الحرب فى أفغانستان بأنها «حرب صليبية» ، ثم قال بعد ذلك: إنه لم يكن يقصد أنها حرب دينية أو ضد دين معين. والبعض الآخر يشير إلى عبارته عن «محور الشر» التى ذكر فيها ثلاث دول منها دولتان إسلاميتان. . ويقولون: إن ذلك التعبير هو

تكرار لتعبير «إمبراطورية الشر» التى كان الأمريكان يصفون بها الاتحاد السوفيتى، حين كان هو العدو فى فترة الحرب الباردة، ويستشهدون على ذلك بنظرية عالم اجتماع بريطانى هو إدوارد موريتمر بأن الغرب بحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتى وإمبراطورية الشر الشيوعية ، ولهذا الغرض فإن الإسلام هو المناسب ليكون هو العدو ، وبالفعل وقع اختيار الغرب على الإسلام كعدو بديل.. ويستشهدون أيضا بما جاء على لسان ويلى كلايس حين كان الأمين العام لحلف الأطلنطى ، وما قاله «جيانى ديمكليز» حين كان ممثلا للاتحاد الأوروبى ، وما قاله أيضا الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون فى كتابه «الفرصة السانحة» وكتابه «نصر بلا حرب» من عبارات تدل على أنهم اعتبروا الإسلام هو «العدو».

فلتات اللسان كثيرة. وأكثر منها ما تمتلئ به عشرات الآلاف من الكتب والدراسات والمقالات من هجوم على الإسلام والمسلمين بالإنجليزية والفرنسية والألمانية. بل واللغة اللاتينية القديمة ترجع إلى قرون سابقة، وفى هذه الكتب والمقالات تشويه متعمد للإسلام ، وللدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف دراسات متعمقة لبعض هذه الكتابات ، وصل منها إلى أن هذا الاتجاه العدائى للإسلام ليس نتيجة أحداث الحاضر أو نتيجة ظروف طارئة، ولكنه نتيجة ترسبات قديمة ترسخت فى العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، وقبل الحروب الصليبية عندما فتح المسلمون الأندلس (أسبانيا) وفتح العثمانيون بعد ذلك القسطنطينية ووصلوا إلى النمسا وحاصروا فيينا العاصمة.

وللدكتور محمود زقزوق أبحاث كثيرة عن المفكرين الذين رسخوا فى الغرب العداءللإسلام ووصفوه بأنه دين عدوانى متعصب وقالوا: إن كل مسلم شهوانى. كسلان، ومتواكل، جاهل. مستسلم للقدر ، ولا تزال حتى الآن تدرس فى مدارس أوروبا وأمريكا مثل هذه المعلومات عن الإسلام والمسلمين، ولذلك تظهر على الألسنة عبارات تكشف ما فى الضمائر من سوء الفهم ، والكراهية ، وعمق آثار الميراث الفكرى والثقافى العدائى للإسلام.

الحديث يطول عن مظاهر وأسباب وجذور العداء للإسلام فى الغرب. والقصة طويلة فيها فصول من التاريخ والحروب والذكريات المؤلمة، وفيها اجتهادات

فكرية نزيهة واجتهادات مغرضة.. وفيها مصالح وأطماع وصراع إرادات. . المهم الآن أن الموضوع انتقل أخيرا من المستوى الفكرى البحت إلى المستوى السياسى ثم إلى المستوى العسكرى، وهذا ما جعل الوفد الرسمى المصرى فى مؤتمر اتحاد البرلمانات الإسلامية الذى عقد فى الرباط فى سبتمبر ٢٠٠١ يطالب بوضع حد لتشويه الإسلام ، والابتعاد عن ربطه بالإرهاب وبأحداث سبتمبر فى الولايات المتحدة، لأن الإرهاب ظاهرة عالمية ليست فى منطقة واحدة من العالم ، وليست مقصورة على فئة عرقية أو دينية أو حضارية بذاتها ، وليست إفرازا إسلاميا ولا وهى معبرة عن مبادئه. . وهذا أيضا ما دعا مؤتمر وزراء وقادة الأمن العرب فى تونس فى أكتوبر ٢٠٠١ للدعوة إلى حماية العرب والمسلمين فى الغرب ، وعبر هذا المؤتمر عن القلق الشديد لحملة التحريض ضد المسلمين والعرب والإساءة إليهم فى الولايات المتحدة – وغيرها – سواء من الجهات الرسمية أم من المواطنين، ووصل الأمر إلى حد اعتقال الكثيرين دون «سبب أو مبرر سوى كونهم مسلمين أو عربا ، وأصدرت أمانة المؤتمر بيانا قالت فيه: إنه بالرغم من التصريحات التى أدلى بها كبار المسئولين الأمريكيين عن تقديرهم للدين الإسلامى وللمسلمين وتأكيدهم على الفصل بين الإسلام كدين وبين الإرهاب كجريمة فإن رعايا الدول العربية والإسلامية تعرضوا لمضايقات ومعاملة سيئة فى الولايات المتحدة ، ولابد من وضع حد لهذه الممارسات وتأمين حسن معاملة الرعايا المسلمين والعرب فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول، وضمان حقوقهم وحماية مصالحهم». .

ومن أمثلة الخطأ الشديد فى فهم العالم الإسلامى والحكم عليه بأحكام مسبقة ما كتبه جون بارنز فى«نيويورك تايمز» من أن البعض فى العالم الإسلامى أصبح ينظر إلى أسامة بن لادن بإعجاب ويعتبرونه «روبن هود» السياسى الإسلامى، وإن كان البعض الآخر فى العالم الإسلامى يوجهون إليه النقد ويرون أنه معبود زائف.. ونقل كاتب المقال عن عالم فرنسى له العديد من الكتب عن أفغانستان هو أوليفر أونى إن أسامة بن لادن مناضل سياسى أعطى النمط الإسلامى للإمبريالية الغربية ، ولذلك يحظى بتأييد كثير من المسلمين، ليس لأنهم يرون فيه المقاتل المسلم الحقيقى ، ولكن لأنهم يكرهون أمريكا ، ولأنه الوحيد الذى يرون أنه

يحارب الأمريكيين. . ويعترف كاتب المقال فى نفس الوقت بأن المسلمين المعتدلين فى المساجد والمعاهد الإسلامية من المغرب إلى إندونيسيا يفسرون القرآن ليوضحوا أن المعنى الحقيقى للجهاد لا يمكن أن يتفق أبدا مع جريمة سبتمبر حتى مع الظلم الذى يعانى منه المسلمون من أمريكا فى القضايا التى حددها ابن لادن فى شرائط الفيديو مثل: معاملة إسرائيل للفلسطينيين ، وتواجد القوات الأمريكية فى الأراضى العربية ، وفرض أمريكا العقوبات طويلة المدى على العراق. . ويقول علماء المسلمين : لا ترتكبوا خطأ التفكير فى أن ابن لادن هو الوجه الحقيقى لملايين المسلمين، أو أنه هو الصوت المعبر عن مبادئ القرآن. . وربما يكون هناك قلة جذبتهم بساطته وربما انجذبوا نتيجة الإحساس العميق لدى المسلمين بالإحباط، ولكن المسلمين فى عمومهم يعتبرونه مغامرًا أكثر من كونه زعيما إسلاميا ، كما أن المسلمين يدركون أن مفهومه عن الجهاد خطأ. . أما المسلمون فى باكستان فإنهم يشعرون بخيبة الأمل للاختفاء المخزى لأسامة ابن لادن واكتفائه بالظهور على شرائط الفيديو ليطلب من غيره أن يقاتل ويضحى بنفسه ، بينما يهرب هو ومن معه ، ويدعى أنه صلاح الدين الذى حرر القدس من الصليبيين. . وفى القاهرة وبيروت وطهران ومراكز الفكر الإسلامى الأخرى يعتبرون فكر ابن لادن منحرفا عن الإسلام ، وليس هناك أكثر من الشيخ محمد حسن نصرالله الزعيم الروحى لحزب الله الذى ينتقد إسرائيل والولايات المتحدة منذ ر بع قرن، ويقاوم الاحتلال الإسرائيلى فى لبنان. فقد أدان بقوة هجمات ابن لادن على أمريكا وقال: إنها لا تتفق مع الشريعة الإسلامية ولا مع مفهوم الجهاد فى الإسلام ، وإن المجرمين لا يعتبرون شهداء كما ادعى ابن لادن ، لأنهم قتلوا مدنيين فى أرض بعيدة وليس فى بلد إسلامى، وقال الشيخ نصر الله أيضا: إن مفهوم الجهاد ليس العدوان، مستدلا فى ذلك بآيات من القرآن. . وقال أيضا: إن تفسير ابن لادن لآيات الجهاد اعتمد على «الدوافع النفسية الشخصية» بما فى ذلك الدوافع القبلية للانتقام. . هذا ما كتبه جون بارنز وهو يتحدث عن «جرائم المسلمين» ! !

وفى فرنسا كتب عالم معروف هو «جيلز كايل»: إن ابن لادن استمد آراءه من التفسير المتعصب العدوانى لبعض أقوال المفسرين مع الخبرة العدوانية التى

اكتسبها من الجهاد ضد الاحتلال السوفيتى فى أفغانستان. . وابتداء من عام ١٩٨٩ بدأ «المجاهدون» فى أفغانستان يعتقدون أنهم هم الذين دمروا الاتحاد السوفيتى وأن النضال الإسلامى أصبح قوة قادرة على الانتصار على أى عدو آخر، وتناسوا أن الذى هزم السوفيت هى الصواريخ التى زودتهم بها الولايات المتحدة وجعلتهم يتفوقون بها على قوات الاحتلال السوفيتى. .

وبعض المفكرين الأمريكيين يرون أن الصدام بين الإسلام والمسيحية أمر واقع، لأن الأديان فى رأيهم، وإن كانت دافعا للتقدم، إلا أنها كانت على مدى التاريخ مصدرا للصراع بين البشر، وفى ظل العولمة الآن أصبح الدين قوة أساسية لمهاجمة التغير السياسى والاجتماعى، وهذا ما عبر عنه جيم هوجلاند فى مقاله فى صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية، وقال أيضا: إن الطلقات التى قضت على السلام والطمأنينة فى كثير من المناطق كانت موجهة تحت شعارات دينية وادعاءات بحماية العقيدة، وهذه الطلقات قتلت شعوبا تنتمى إلى الإنجيل والقرآن والتوراة، وقد أصبحت هذه الكتب المقدسة ملاذا للبعض،وسلاحا للبعض الآخر، وذلك بعد أن هدمت القوى الاقتصادية حائط العقيدة وحائط الهوية القومية وتسبب ذلك فى إشعال الغضب غير المفهوم.

وكدليل على ذلك يقول هوجلاند إن الحريصين على السلام حاولوا منع فصائل المسيحيين من الاستمرار فى قتل مسلمى البوسنة وكوسوفو، والآن يظهر الإسلام متوحدا معالجماعات الإرهابية التى تقتل الأبرياء فى الشرق الأوسط وفى آسيا، وكذلك فإن اليهودفى إسرائيل يقومون بذبح العرب والمسلمين ويستندون فى ذلك بعقيدتهم لتبرير سفك دماء «الأعداء».

ويمضى هوجلاند فى شرح رؤيته فيقول: إن التاريخ اتخذ شكلا عكسيا فى الوقت الحالى بينما كان العالم منذ عام مضى يعتقد أنه يسير بثبات نحو مستقبل علمانى أكثر ازدهارا سوف تساهم فى تشكيله البورصات والأسواق المالية والإنترنت، وليس المتعصبون وأصحاب العقائد الدينية المتشددة التى يريدون أن تكون الأصابع دائما على زناد المدافع وأزرار الأسلحة النووية! والحقيقة – كما يقول – إن الصراعات إنما تدور حول الأرض والموارد، وهذا الصراع حول الأرض والموارد هو الذى يلعب الدور الأساسى فى الاضطراب السائد فى العالم فى هذه

المرحلة، وأضيف إلى هذا الصراع سيطرة التعصب الدينى على السلطة والسياسة ، وكانت من نتيجة ذلك أن هذه الإفرازات لعصر العولمة أشعلت الغضب ضد الغرب .وجاء أسامة بن لادن ليجعل هذا الغضب سلاحا لتهديد الغرب ، ومع انتشار تيار التشدد الدينى والتعصب انتشرت عقيدة ملخصها: أن الخلاص فى الطاعة وليس فى الاختيار، لأن الاختيار لله وحده وليس للبشر، وبذلك أصبح الدين هو السياسة فى العالم العربى وإيران ومعظم دول آسيا ، وانتهى عصر القومية العربية ، والإمبراطورية الفارسية، والأممية الشيوعية ، وأدى ذلك الانهيار إلى وجود فراغ أيديولوجى كبير ، ورغبة فى البحث عن بديل للإجابة عن مشاكل الحياة .

ينتهى هوجلاند من ذلك إلى أن أمريكا أخطأت لأنها لم تستخدم نفوذها لحل الأزمات فى الشرق الأوسط والخليج ووسط وجنوب آسيا ، وظهر هذا التفكك الاستراتيجى الأمريكى بعد انهيار حركة طالبان ، ويقول: إن واشنطن لا تتدخل فى المسائل الدينية ، ولكنها بأعمالها تؤثر على التوازن فى هذه المناطق بين القوى الدينية التى تتنافس على السلطة مستغلة فقدان ثقة الشعوب فى حكوماتها بسبب الفساد أو عدم الكفاءة ، أو الإهمال. . فقيام أمريكا بمساعدة العراق عسكريا فى حربها ضد إيران فى الثمانينات لم يكن له علاقة بالدين ، والحرب الأمريكية ضد طالبان كانت بسبب الإرهاب، وليس بسبب أشكال التدين الهمجى التى تمارسها طالبان .

يريد هوجلاند أن يقول: إن أمريكا هى التى حققت التوازن بين السنة والشيعة ، وهى التى ساعدت على إخماد الحملة الأيديولوجية الشيعية التى أعقبت ثورة إيران عام ١٩٧٩ وبعدها سعى زعماء الشيعة إلى تحويل أفغانستان إلى معمل تفريخ للتطرف والإرهاب، والقوة الأمريكية هى التى أحبطت تلك المحاولة. وكانت الميزة الوحيدة لحرب بوش هى إصراره على عدم تحويل الحرب فى أفغانستان إلى حرب أمريكية ضد الإسلام ، فالدول الديمقراطية الصناعية تعلم أنها لا تستطيع تبرير الحروب الدينية ولا تقدر عليها . ولكن أمريكا فى الوقت نفسه لا تستطيع تجاهل الدور الذى يلعبه الصراع الدينى والمصادمات الدينية فى إشعال الصراعات العرقية وزيادة التفكك الاجتماعى مما

يتطلب تدخل أمريكا.. هكذا أصبحت العولمة لا تقتصر على البورصات والأسواق المالية والتكنولوجية ولكنها تشمل أيضا الصدامات الدينية .

هكذا تبدو الأحداث الدامية التى تدور فى الشرق الأوسط وآسيا فى عيون أمريكية .

حتى رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر كتبت مقالا فى«نيويورك تايمز» الأمريكية والجارديان البريطانية قالت فيه : إن التيار الإسلامى هو «البلشفية الجديدة» وقالت أيضا : إن الرؤية المألوفة فى العالم العربى والإسلامى عن أمريكا أنها دولة غنية وقوية ، ولكنها بلا قيم. وجاء هذا المقال صدمة للمسلمين ، والصحفى اليهودى الأمريكى توماس فريدمان فى نيويورك تايمز انتهز الفرصة وبنى على هذا المقال فقال : إن هناك حرب مبادئ وقيم بين الغرب والعالم الإسلامى ، وهكذا أصبح مثل هذا التفكير تعبيرا عن صراع الحضارات وربما يبرر أيضا حرب الأديان بعد ذلك ، ولذلك نقول: إنه تفكير خطير يجب أن ننتبه إليه ونتصدى له. .

وأخيرا . .

ما حدث فى أمريكا يوم ١١ سبتمبر جريمة إرهابية خطيرة جدا. . ليس فقط لأمريكا، ولكن للعالم كله. . وهى جريمة أدانها المسلمون من منطلق عقيدتهم الدينية .

هذه الجريمة قد يكون بعض من قام بها من المسلمين والعرب .

وقد يكون دافعَهم تفسيرٌ خاطئٌ ومنحرفٌ لمبادئ الإسلام والجهاد. .

وقد يكون محركَهم إيمانٌ بالنظرية التى بدأت فى أمريكا وانتشرت فى أوروبا عن صدام الحضارات وحتمية الصراع بين الغرب والإسلام. .

ولكن لابد من فهم الفرق الدقيق بين الإسلام كدين والمسلمين كبشر لهم أخطاؤهم، ولكى يفهم الغرب هذا الفرق عليه أن يتذكر أن شارون أو كاهانا أو قاتل رابين أو غيرهم هم إرهابيون ديانتهم اليهودية، ولكن ذلك لا يؤدى إلى القول بأن الدين اليهودى فى ذاته دين إرهابى. كذلك فإن تيموثى ماكفاى الذى

فجر المبنى الفيدرالى فى أوكلاهوما كـان مسيحيا أمريكيـا وليـس معنـى ذلـك أن الدين المسيحى دين إرهابى أو أن الشعب الأمريكى شـعب إرهـابى. . كمـا أن فـى أيرلندا وأسبانيا وفرنسا جماعات إرهابية مسيحية وليـس معنـى ذلـك أن الديـن المسيحى إرهابى. . أو أن هذه الشعوب إرهابية. .

الخطأ الأكبر الذى يقع فيه كثير من المفكرين والسياسيين والصحفيين والمعلقين فى الغرب هو أن ينسبوا الإرهاب إلى ديانة معينة، أو إلى شـعب بأكملـه، وليـس هذا خطأ فقط، ولكنـه خطـر أيضـا، لأنـه يفتـح البـاب أمـام صـراع الحضـارات، أوصراع الأديان. . أى أنه يفتح الباب للشيطان، ليشعل العالم نتيجة اسـتفزازات وأفكار خاطئة. .

obeikandl.com